بين الزركشى والسيوطى فى كتابيهما "البرهان" و"الإتقان" فى علوم القرآن

"دراسة نحوية مقارنة"

دكتور

عاطف محمد عبد المجيد أبو سعيد

مدرس اللغويات بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

"اللهم يسر وأعن"

الحمدُ للهِ ربِ العالمين والصلاةُ والسلامُ على النبى العربى الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين.

وبعد

فإنّ الإمامَ بدرَ الدينِ محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى (١) المتوفى سنة (٧٩٤) هجرية، والإمامَ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبا بكر السيوطى (٢) المتوفي سنة (٩١١) هجريه من أشهر من ألفا فى علوم القرآن، فقد ألف الأول كتابه البرهان في علوم القرآن وألف الثانى الاتقان في علوم القرآن.

---

(١) وُلِدَ الامامُ الزركشى بالقاهرة سنة (٧٤٥) هجرة، وكان أبوه من الاتراك، وكان مملوكا لبعض الأكابر وتعلم فى صغره صنعة الزركشى ونسب إليها - والزركش- هو الحرير المنسوج بالذهب-. هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢/٩. وقد تتلمذ على أفاضل العلماء فى مصر والشام ومنهم :

١- جمال الدين الإسنوى.

٢- سراج الدين البلقينى.

٣- شهاب الدين الأذرعى.

٤- الحافظ مُغلطاى.

٥- ابن كثير.

٦- ابن الحنبلى الشافعي.

وترك رحمه الله مصنفات عظيمة منها :

١- البرهان في علوم القرآن. =

والمتتبع للنحو فى البرهان والإتقان يجد أن السيوطى في إتقانه قد تأثر بالزركشى فى برهانه تأثرا كبيرا. ودليل ذلك ما يأتى :

١- اطلاع السيوطى(٢) على البرهان وإعجابة به واعتماده عليه، يقول في مقدمة الإتقان "... فبينا أنا أجيل فى ذلك فكراً، أقدم رجلا وأؤخر أخرى، إذ بلغنى أن الشيخ الإمام بدر الدين

= ٢- تفسير القرآن العظيم.
٣- تخريج أحاديث الرافعى في الشرح الكبير.
٤- شرح الأربعين النوويه.
٥- شرح البخارى.
٦- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.
٧- البحر المحيط في أصول الفقة.
وقد تولى رحمه الله إمامة إيوان الشافعية بالمدرسة الظاهرية، ومشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، تنظر الترجمة في شذرات الذهب ٦/٣٣٥، الدرر الكامنة ٤/١٧.

(٢) ولد الإمام السيوطى سنة ٨٤٩ هجرية وتتلمذ على يد أكابر علماء عصره ومنهم الشيخ شهاب الشار مساحى والشيخ علم الدين البلقينى وشيخ السلام شرف الدين المناوى. وكان رحمه الله علما في علوم كثيره، يقول فى حسن المحاضره"... ورزقت التبحر فى سبعة علوم = التفسير، والحديث، والفقة، والنحو، والمعانى، والبديع والبيان، على طريق العرب البلغاء، لا على طريق العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقة... لم يصل إليها أحد من أشياخى فضلا عمن دونهم ..." تنظر الترجمة فى حسن المحاضرة ٢/١٨٥.

محمد بن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين. ألف كتابا في ذلك حافلا يسمى :"البرهان في علوم القرآن" فتطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته، قال في خطبته "لما كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالمقدر الممكن، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علوم الحديث فاستخرت الله تعالى - وله الحمد- في وضع كتاب في ذلك، جامع لما تكلم الناس في فنونه.

ولما وقفت على هذا الكتاب، ازددت به سرورا وحمدت الله كثيرا وقوى العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن الجلي البرهان الكثير الفوائد والإتقان... وسميته بالإتقان في علوم القرآن..." (٣)

٢- تناول السيوطي القضايا النحوية نفسها التي وردت في البرهان، مثل : الحذف شروطه - أسبابه - أنواعه. (٤)
الصفة : أسبابها - قواعد تتعلق بالصفة. (٥)
البدل (٦)، عطف البيان (٧)، الأدوات المفردة (٨).

---

(٣) الإتقان ١٤/١.

(٤) البرهان ١٠٣/٣ وما بعدها، والاتقان ١٠٧/٣ وما بعدها.

(٥) البرهان ٤٢٢/٢ وما بعدها، والاتقان ٢٠٦/٣ وما بعدها.

(٦) البرهان ٤٦١/٢، والاتقان ٢١٠/٣ وما بعدها.

(٧) البرهان ٤٦٤/٢، والاتقان ٢١١/٣.

(٨) البرهان ١٧٥/٤ وما بعدها، والإتقان ١٤١/٢ وما بعدها.

٣- نقل السيوطى من الزركشى نقولا كثيرة جدا، هذا بيانها :

أ) كان أحيانا يشير إلي ما نقله ومثال ذلك :

يقول السيوطي :"..."ظن" أصله للاعتقاد الراجح، كقوله تعالي "إِنْ ظَنَّآ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) (٩) وقد تستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى (اَلَّذِين يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِم) (١٠)...

وقال الزركشى في البرهان : الفرق بينهما فى القرآن ضابطان:

أحدهما : أنه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموما متوعدا بالعقاب عليه فهو الشك.

الثانى : أن كل ظن يتصل بعد (أَنْ) الخفيفه فهو شك، كقوله تعالى : (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ) (١١)

وكل ظن يتصل به (أَنَّ) المشدده فهو يقين كقوله :(إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَه) (١٢) (وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاق) (١٣)

والمعنى في ذلك أَنَّ المشددة للتأكيد فدخلت علي اليقين، والخفيفه بخلافها فدخلت فى الشك، ولهذا دخلت الأولى في نحو:(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ) (١٤)(وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) (١٥)،

---

(٩) البقرة من الآية /٢٣٠.

(١٠) البقرة من الآية /٤٦.

(١١) الفتح من الآية /١٢.

(١٢) الحاقة/٢٠

(١٣) القيامة /٢٨.

(١٤) محمد /١٩.

(١٥) الأنفال /٦٦.

والثانية في الحسبان نحو :(وحسبوا ألا تكون فتنة) (١٦) ذكر ذلك الراغب في تفسير (١٧)، وأورد على هذا الضابط (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ) (١٨) وأجيب بأنها اتصلت بالإسم وهو ملجأ وفى الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل ذكره في البرهان، قال فتمسك بهذا الضابط، فهو من أسرا القرآن. (١٩)

ويقول السيوطى فى الحديث عن "عسى ولعل":

"وفى البرهان" عسي ولعل من الله واجبتان وإن كانتا رجاءً وطمعاً في كلام المخلوقين، لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون، والبارئ منزه عن ذلك". (٢٠)

ويقول أيضا : " قال فى البرهان وحكى البغوى عن الواقدي أن جميع ما فى القرآن من "لعلّ" فإنها للتعليل إلا قوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) (٢١) فإنها للتشبيه، وقال وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة، ووقع فى صحيح البخارى فى قوله (لعلكم تخلدون) أن لعل للتشبيه (٢٢)، وذكر غيره أنه للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم" (٢٣)

---

(١٦) المائدة /٧١.

(١٧) المفردات في غريب القرآن ٣١٧/٢.

(١٨) التوبة /١١٨.

(١٩) الاتقان ٢٠٠/٢-٢٠١ - وانظر البرهان ١٥٦/٤-١٥٧.

(٢٠) الإتقان ٢٠٥/٢ والبرهان ١٥٨/٤.

(٢١) سورة الشعراء من الآية /١٢٦.

(٢٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للعينى ٣٥٦/١٥.

(٢٣) الاتقان ١٢٣٣/٢، والبرهان ٣٩٤/٤.

وقد أشار الزمخشري في كشافه إلى مجئ "لعل" للتشبيه حيث يقول في قوله تعالى: (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد، وفي حرف أُبَيّ كَأَنَّكُمْ (٢٤)

ب) وتارة ينقل من البرهان دون أن يشير إلي ذلك - وهذا كثير- ومنه :

يقول السيوطي : "حيث" ظرف مكان. قال الأخفش: وترد للزمان مبنية على الضم تشبيها بالغايات فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ولهذا قال الزجاج في قوله تعالي: (مِنْ حَيْثُ لَا ترونهم) (٢٥) ما بعد حيث صلة لها، وليست بمضافة إليه (٢٦)، يعني أنها غير مضافة للجملة بعدها، فصارت كالصلة لها، أي كالزيادة وليست جزءا منها. وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة فرد عليه، ومن العرب من يعربها، ومنهم من يبنيها على الكسر لالتقاء الساكنين، وعلى الفتح للتخفيف، وتحتملها قراءة من قرأ (مِنْ حَيْثِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢٧) بالكسر، (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثَ يَجْعل رِسَالاته) (٢٨) بالفتح. والمشهور أنها لا تتصرف.

وجوّز قوم في الآية الأخيرة كونها مفعولاً به على السعة، قالوا: ولاتكون ظرفاً لأنه تعالى لايكون في مكان أعلم منه في مكان، ولأن

---

(٢٤) الكشاف ١٢٢/٣.

(٢٥) سورة الأعراف من الآية /٢٧.

(٢٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٩/٢.

(٢٧) الأعراف من الآية /١٨٢.

(٢٨) الأنعام /١٢٤.

المعنى أنه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئاً فى المكان، وعلى هذا فالناصب لها (يَعْلَمُ) محذوفاً مدلولاً عليه بـ(أعلم) ، لابه، لأن التفضيل لاينصب المفعول به إلا إن أوّلته بعالم.

وقال أبو حيان[٢٩] الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية، وتضمين (أعلم) معنى مايتعدى إلى الظرف، فالتقدير : الله أنفذ علماً حيث يجعل ، أى هو نافذ العلم فى هذا الموضع[٣٠]

ثم انظر إلى ماقاله الزركشى فى هذا :

"حيث" ظرف مكان، قال الأخفش: وللزمان، وهى مبنية على الضم تشبيهاً بالغايات، فإن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة، ولهذا قال الزجاج فى قوله تعالى : (مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ) مابعد "حَيْثُ" صلة لها وليست بمضافة إليه يريد أنها ليست مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها أى كالزيادة .

وفهم الفارسى أنه أراد أنها موصولة فردّ عليه .

ومن العرب من يعرب حيث ، وقراءة بعضهم (من حيثِ لايعلمون) بالكسر تحتملها ، وتحتمل البناء على الكسر. وقد ذكروا الوجهين فى قراءة (اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتَهُ) بفتح الثاء .

والمشهور أنها ظرف لايتصرف .

وجوّز الفارسى وغيره فى الآية كونها مفعولاً به على السعة ، وقالوا : ولاتكون ظرفاً، لأنه تعالى لايكون فى مكان أعلم منه فى مكان .

---

(٢٩) البحر المحيط ٤/٢١٦ .

(٣٠) الاتقان ٢/١٩٤ - ١٩٥ .

وإذا كانت مفعولاً لم يعمل فيها (أعلم) ، لأن (أعلم) لايعمل فى المفعول به فيقدر لها فعل .

واختار الشيخ أثير الدين أنها باقية على ظرفيتها مجازاً وفيه نظر (٣١).

* واسم التفضيل لاينصب المفعول به عند أكثر النحويين.. يقول ابن مالك فى التسهيل: ولاينصب - اسم التفضيل - مفعولاً به، وإن أول بما لاتفضيل فيه جاز على رأى أن ينصبه (٣٢)، وإنما يصل إلى المفعول به بواسطة حرف الجر، كما يلى : -

١ - إن كان اسم التفضيل من فعل متعد بنفسه دال على حب أو بغض عدى إلى المفعول به بـ (اللام) نحو : "المؤمن أحب لله من نفسه"، ، فلفظ الجلالة فى موقع المفعول .

٢ - وإن كان اسم التفضيل من متعد بنفسه دال على حب أو بغض عدى بـ "إلي" إلى ماهو فاعل فى المعنى نحو : "زيد أحب إلى عمرو من خالد، وأبغض إلى بكر منه "منهج السالك للأشمونى ٥٧/٣" .

٣ - وإن كان اسم التفضيل من فعل متعد بنفسه دال على علم عدى إلى المفعول به بالباء نحو : "زيد أعرف بى وأنا أدرى بـــه".

٤ - وإن كان من متعد بنفسه من غير ماتقدم عدى إلى المفعول به (باللام) نحو : "زيد أضرب لعمرو من بكر"، ونحو : "أنا أنفع للجار، وهو أطلب للثأر" .

---

(٣١) البرهان ٢٧٤/٤ .

(٣٢) التسهيل ص١٣٥ .

٥ - وإن كان اسم التفضيل من متعد بحرف جر عدى بذلك الحرف كفعله نحو : "محمد أزهد فى الدنيا من خالد" ، "وأنت أسرع إلى الخير من غيرك"، "والمجتهد أحرص على العلم من غيره" .

٦ - وإن كان من متعد لاثنين عدى للأول باللام، وكان الثانى منصوباً بفعل مقدر نحو : "هو أكسى للفقراء الثياب". فالثياب مفعول لفعل مقدر دل عليه اسم التفضيل والتقدير يكسوهم الثياب .

فإن ورد ماظاهره أن اسم التفضيل نصب المفعول به، جعل نصبه بفعل مقدر يفسره (أفعل) كقوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) .

ومن ذلك قول العباس بن مرداس السلمى :

أكر وأحمى للحقيقة منهم وأضرب منا بالسيوف القوانسا (٣٣)

"فالقوانسا" منصوب بفعل محذوف يفسره (أضرب) أى يضرب القوانسا .

* وأجاز بعضهم أن يكون أفعل التفضيل هو العامل لتجرده من معنى التفضيل .. وأجيب بأن التجرد عن التفضيل لايلغى خصوصية اسم التفضيل .

* وقال بعضهم : غلط من قال إن أفعل التفضيل لايعمل فى المفعول به لورود السماع بذلك كقوله تعالى : (هو أهدى سبيلاً) (٤) وليس بتمييز لأنه ليس فاعلاً فى المعنى (٣٥) .

---

(٣٣) ديوان الحماسة ٢٤٨/١ ، وشرح المفصل ١٠٦/٦ .

(٣٤) سورة الإسراء / ٨٤ .

(٣٥) ينظر فى هذا : شرح الكافية الشافية لابن مالك ١١٤١/٢ .
وارتشاف الضرب لأبى حيان ٢٣١/٣، وشرح المفصل ١٠٦/٦. =

* وقال أبو حيان : "... والكوفيون يجيزون إعمال أفعل التفضيل فى المفعول به[٣٦].

* وتحت عنوان "قاعدة فى الضمائر" ينقل السيوطى من البرهان كثيراً :

يقول : قاعدة فى الضمائر" ألف ابن الأنبارى فى بيان الضمائر الواقعة فى القرآن الكريم مجلدين، وأصل وضع الضمير للاختصار ولهذا قام قوله : (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما) [٣٧] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهرة. وكذا قوله تعالى: (وَقُل للمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِن) [٣٨] قال مكى ليس فى كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً" [٣٩].

- وفى البرهان يقول الزركشى : "قاعدة فى الضمائر" وقد صنف ابن الأنبارى فى بيان الضمائر الواقعة فى القرآن الكريم مجلدين .. وأصل وضعها للاختصار ولهذا قام قوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) مقام خمسة وعشرين لو أتى بها مظهرة، وكذا قوله تعالى (وقل للمؤمنا يغضضن من أبصارهن) نقل

= والأشمونى مع حاشية الصبان ٣/٥٥، ٥٦ .

والإرشاد فى النحو للتفتازانى ص١٩٧ .

(٣٦) البحر المحيط ٤/٢١ .

(٣٧) سورة الأحزاب / ٣٥ .

(٣٨) سورة النور : ٣١ .

(٣٩) الإتقان ٢/٢٨١ .

ابن عطية عن مكى: أنه ليس فى كتاب الله آية اشملت عل ضمائر أكثر منها وهى مشتملة على خمسة وعشرين ضميراً" (٤٠) .

وكلام السيوطى فى الضمائر منقول من البرهان غير أنه قدم بعض المباحث وأخر بعضها ولا يتسع مجال البحث هنا لمزيد من الأمثلة .

* **وفى الحديث عن (لن) يقول السيوطى** : قال بعضهم والعرب تنفى المظنون بـ(لن) والمشكوك بـ(لا) (٤١) .

وفى البرهان: والعرب تنفى المظنون بـ(لن) والمشكوك بـ(لا) (٤٢) .

وقد ذكر كل منهما هذه العبارة فى معرض الرد على زعم الزمخشرى من أن (لن) تأتى لتأبيد النفى .

يقول الزركشى : وليس معناها النفى على التأبيد خلافاً لصاحب الأنموذج بل إن النفى مستمر فى المستقبل، إلا أن يطرأ مايزيله ...." (٤٣) .

يقول السيوطى : "وادعى الزمخشرى أيضاً أنها لتأبيد النفي كقوله تعالى (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا). (٤٤) .... (٤٥).

---

(٤٠) البرهان ٤/٢٤ .

(٤١) الاتقان ٢/٢٣٥ .

(٤٢) البرهان ٤/٣٨٨ .

(٤٣) البرهان : ٤/٣٨٧ .

(٤٤) الحج / ٧٣ .

(٤٥) الاتقان ٢/٢٣٥ .

والزركشي والسيوطي تابعان لمن سبقهما من العلماء في نسبة هذا القول إلي الزمخشري يقول ابن مالك :"ثم أشرت إلي ضعف قول من رأي تأبيد النفي بـ (لن) وهو الزمخشري في أنموذجه (٤٦)

وقال ابن هشام : " ولا تفيد "لن" توكيد النفي، خلافا للزمخشري في كشافه، ولا تأبيده خلافا له في أنموذجه" (٤٧)

وقد أبطل العلماء ما نسبوه إلى الزمخشري بثلاثة أمور :

الأول : أنها لو كانت للتأبيد لما اجتمعت مع ما هو لانتهاء الغاية، وقد اجتمعت مع (حتى) التي هي لانتهاء الغاية في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها :

١- (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (٤٨)

٢- (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ). (٤٩)

٣- (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) (٥٠)

الثاني : أنها لو كانت للتأبيد لكان ذكر (أبدا) معها تكرار والأصل عدمه، وقد جاء ذكر (أبدا) معها في بعض أي الذكر الحكيم، من ذلك :

---

(٤٦) شرح الكافية الشافية ٣/١٥٣١.

(٤٧) المغني ١/٢٨٤.

(٤٨) سورة آل عمران /٩٢.

(٤٩) سورة يوسف /٦٦.

(٥٠) سورة الاسراء /٩٠.

١- (وَلَنْ يَتَمَنَّوْه أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهم) (٥١).
٢- (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا) (٥٢).
٣- (وَإِنْ تَدْعُهُم إِلى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً) (٥٣)

الثالث : أنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفها "باليوم"، لأن هذا يؤدى إلي التناقض وقد جاء منفيها مقيدا "باليوم" فى قوله تعالى :(إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليومَ إِنْسِيا) (٥٤)

والزمخشرى رحمه الله - لم يقل فى أنموذجه عن (لن) إلا "...." و"لن" نظيرة (لا) في نفى المستقبل ولكن على التأكيد "(٥٥)

وهذا نص على إفادة (لن) التأكيد، ولا إشارة فيه إلى إفادتها التأبيد. ولم يذكر فى المفصل شيئا عن إفادتها للتأبيد فى أى موضع من مواضع الكتاب، مع العلم بأن (المفصل) هو الجامع لأهم آراء الزمخشرى النحوية والصرفية، فلو كان من رأيه أن (لن) تفيد تأبيد النفى لصرح فيه بذلك أو أشار إليه، وهذا نص كلامه عن معنى (لن).

يقول :

"و (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفى المستقبل، تقول : لا أبرح اليوم مكانى، فاذا وكدت وشددت قلت : لن أبرح اليوم مكاني،

---

(٥١) سورة البقرة /٩٥.
(٥٢) سورة المائدة/ ٢٤.
(٥٣) سورة الكهف /٥٧.
(٥٤) سورة مريم /٢٦.
(٥٥) الأنموذج ١٠٢.

قال الله تعالى: (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) (٥٦)، وقال: (فَلَنْ أَبْرَحَ الأرضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي) (٥٧)

وهذا تصريح بأن (لن) لا تفيد إلا توكيد النفى ... والناظر في الكشاف يرى أن (لن) فيه تفيد النفى فقط، ولم يشر الزمخشرى في أي موضع من مواضعها إلى افادتها للتأبيد، وهذه بعض المواضع:

١- قوله عند تفسير قول الله تبارك وتعالى (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (٥٨) فان قلت: فما حقيقة (لن) فى باب النفى؟ قلت: (لا) و (لن) أختان في نفى المستقبل، إلا أن في (لن) توكيدا أو تشديدا. (٥٩)

٢- قوله في تفسير قول الحق تبارك وتعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي). (٦٠) فإن قلت ما معنى (لن) ؟ قلت: تأكيد النفى الذى تعطيه (لا) وذلك أن (لا) تنفى المستقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا، والمعنى: أن فعله ينافى حالى، كقوله: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا

---

(٥٦) سورة الكهف من الآية / ٦٠.

(٥٧) سورة يوسف / ٨٠ وأنظر شرح المفصل لابن يعيش ١١١/٨.

(٥٨) سورة البقرة / ٢٤.

(٥٩) الكشاف ٢٤٨/١.

(٦٠) سورة الأعراف / ١٤٣.

لـــه) (٦١). فقوله : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (٦٢) نفى للرؤية فيما يستقبل و(لَنْ تَرَانِي) تأكيد وبيان. (٦٣)

٣- قوله في معرض تفسير قوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (٦٤).

قال : "ولا فرق بين (لا) و (لن) فى أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل إلا أن فى (لن) تأكيدا وتشديدا ليس فى (لا)، فأتى مرة بلفظ التأكيد (ولن يتمنوه) ومرة بغير لفظة (ولا يتمنوه). (٦٥)

ففى هذه النصوص تصريح من الزمخشرى بأن (لن) لا تفيد إلا تأكيد نفى المستقبل، كما تدل على أن هذه التهمة التى وجهت للزمخشرى هو منها برئ، وإنما هى فرية الصقت به، جرها مذهبه فى الاعتزال.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الله الحسينى هلال :

"... فإنه يبدو لى أن الزمخشرى لم يقل بإفادة (لن) تأبيد النفى، وإنما هى فرية ألصقت به، جرها مذهبه في الاعتزال، وتوارثها

---

(٦١) سورة الحج /٧٣.

(٦٢) سورة الأنعام /١٠٣.

(٦٣) الكشاف ١١٣/٢.

(٦٤) سورة الجمعة ٦، ٧.

(٦٥) الكشاف /٤.

النحويون جيلا عن جيل حتى صارت لدي المحدثين منهم أمرا مشهورا، وكم من حق مهجور وباطل ذائع مشهور.(٦٦)

ويقول السيوطي في باب الحذف ... حذف الموصول نحو: (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) (٦٧) أي والذي أنزل إليك، لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلي من قبلنا، ولهذا أعيدت (ما) في قوله: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) (٦٧) ....." (٦٨)

وتحت عنوان حذف الموصول يقول الزركشي :

"قوله (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) أي والذي أنزل اليكم، لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى مَنْ قبلنا ولذلك أعيدت (ما) بعد (ما) في قوله (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ)...." (٦٩)

ويقول السيوطي : - عطف العام بعد الخاص- وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ، والفائدة فيه واضحه وهو التعميم، وأفراد الأول بالذكر اهتماما بشأنه ومن أمثلته: (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) (٧٠)، والنسك العبادة، فهو أعم (آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي

---

(٦٦) الفعل المضارع في ضوء أساليب القران ١٣٤.

(٦٧) سورة البقرة /١٣٦.

(٦٨) الإتقان ١٨٧/٣.

(٦٩) البرهان ١٥٨/٣-١٥٩.

(٧٠) الأنعام : ١٦٢.

والْقُرآنَ الْعَظِيم) (٧١) (رَب أغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات) (٧٢) (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلَ وَصَالِحُ المُؤْمِنِين والْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِير) (٧٣).

وجعل منه الزمخشري (وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (٧٤)، بعد قوله (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ) (٧٤) ..." (٧٥) ثم أنظر إلي ما في البرهان، يقول الزركشي:- ذكر العام بعد الخاص- وهذا أنكر بعض الناس وجوده، وليس بصحيح، والفائدة في هذا القسم واضحة، والاحتمالان المذكوران في العالم قبله ثابتان هنا أيضا. (٧٦) ومنه قوله: (إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي) (٧٧) والنسك العبادة، فهو أعم من الصلاة. وقوله: (أَلَمْ يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) (٧٨). وقوله: (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) (٧٩)، وقوله: اخبارا عن نوح: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا

---

(٧١) الحجر: ٨٧.

(٧٢) نوح: ٢٨.

(٧٣) التحريم: ٤..

(٧٤) يونس: ٣١.

(٧٥) الاتقان ٣/٢١٣.

(٧٦) انظر البرهان ٢/٤٦٥.

(٧٧) سورة الانعام: ١٦٢.

(٧٨) سورة التوبة: ٧٨.

(٧٩) سورة الحجر: ٨٧.

وللمؤمنين والمؤمنات) وقوله : (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

وجعل الزمخشري منه قوله تعالى : (ومن يدبر الأمر) (٨١) بعد قوله (قل من يرزقكم) ...." (٨٢).

(ج) وأحيانا يختصر ما جاء في البرهان مع عدم الإشارة إليه.

ومن الأمثلة على ذلك :

يقول السيوطي : (قاعدة)

"الصفة العامه لا تأتي بعد الخاصة، لا يقال : رجل فصيح متكلم، بل متكلم فصيح وأشكل على هذه قوله تعالى في إسماعيل: (وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) (٨٣) وأجيب أنه حال لا صفة، أى مرسلا في حال نبوته) (٨٤).

وهذا الكلام اختصارا لما في البرهان، **يقول الزركشي : (تحت عنوان) (الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة)**

أعلم أن الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة، لا تقول "هذا رجل فصيح متكلم" لأن المتكلم أعم من الفصيح، إذ كل فصيح متكلم ولا عكس وإذا تقرر هذا أشكل قوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) اذ لا يجوز أن يكون (نبيا) صفة لـ (رسول) لأن النبى أعم من الرسول، إذ كل رسول من الآدميين نبى ولا عكس.

---

(٨١) سورة يونس / ٣١ والكشاف ٢/٢٧١.

(٨٢) البرهان ٢/٤٧١ - ٤٧٢.

(٨٣) سورة مريم /٥١.

(٨٤) الاتقان ٣/٢٠٨.

والجواب أن يقال : إنه حال من الضمير في (رسولا) والعامل في الحال ما في (رسول) من معنى (يرسل) أى كان اسماعيل مرسلا في حال نبوته وهي حال مؤكدة، كقوله: (وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا) (٨٥) ..." (٨٦)

ومن ذلك يقول السيوطى :"... حذف الموصوف: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (٨٧) أى حور قاصرات. (أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) (٨٨) أي دروعا سابغات. (أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ) (٨٩) أى القوم المؤمنون" (٩٠)

وتحت عنوان "حذف الموصوف" يقول الزركشى :

يشترط فيه أمران :

أحدهما : كون الصفة خاصة بالموصوف، حتى يحصل العلم بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف. نص عليه سيبويه في آخر باب ترجمته (هذا باب مجارى أواخر الكلم العربية) (٩١) وكذلك نص عليه أوسطا طاليس فى كتابه الخطابه.

الثانى : أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هى، لتعلق غرض السياق كقوله تعالي (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (٩٢)،فان الاعتماد

---

(٨٥) سورة البقرة من الآية /٩١.

(٨٦) البرهان ٢/٤٢٩ - ٤٣٠.

(٨٧) سورة الصافات / ٤٨.

(٨٨) سورة سبأ /١١.

(٨٩) سورة النور /٣١.

(٩٠) الإتقان ٣/١٨٥.

(٩١) الكتاب ١/١٢.

(٩٢) سورة آل عمران /١١٥.

في سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول فى المدح أو الذم بها.

كقوله تعالي :(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أى حور قاصرات.

وقوله : (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا) (٩٣) أى وجنة دانية.

وقوله : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (٩٤) أى العبد الشكور.

وقوله : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (٩٥) أى القوم المتقين.

وقوله : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) (٩٦) أى سفينة ذات ألواح.

وقوله : (ذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (٩٧) أي الأمة القيمة.

وقوله : (أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) أى دروعا سابغات.

وقوله : (يَا أَيَّةُ السَّاحِرُ) (٩٨) أى يا أيها الرجل الساحر.

وقوله : (أَيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ) (٩٩) أى القوم المؤمنون.

وقوله : (وَعَمِلَ صَالِحًا) (١٠٠) أى عملا صالحا. (١٠١)

---

(٩٣) سورة الانسان /١٤.

(٩٤) سورة سبأ /١٣.

(٩٥) سورة البقرة /٢.

(٩٦) سورة القمر /١٣.

(٩٧) سورة البينة /٥.

(٩٨) سورة الزخرف /٤٩.

(٩٩) سورة النور/٣١.

(١٠٠) سورة القصص /٦٧.

(١٠١) البرهان ٣/١٥٤-١٥٥.

ويقول السيوطى : "التأكيد اللفظى * ، وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه، نحو : (ضَيِّقًا حَرِجًا) (١٠٢) بكسر الراء، ، (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) (١٠٣) وجعل منه الصغار في : (فِيمَا إِنْ مَكَّنَاكُمْ فِيهِ) (١٠٤) على القول بأن كليهما للنفى(*) وجعل منه غيره : (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) (١٠٥) فوراء هنا ليس ظرفا، لأن لفظ: (ارجعوا) ينبئ عنه، بل هو اسم فعل بمعنى (ارجعوا) فكأنه قال : ارجعوا ارجعوا.

---

* يرى بعض النحويين أنه تأكيد معنوى لا لفظى، يقول ابن جنى : "باب فى الاحتياط" اعلم أن العرب إذا أرادت المعني مكنته واحتاطت له فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين أحدهما : تكرير الأول بلفظه وهو قولك : قام زيد قام زيد. والثاني تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين أحدهما : للإحاطة والعموم، والأمر للتثبيت والتمكين ..." الخصائص ١٠١١٣: ١٠٤ فهذا النص واضح صريح في أن التوكيد للمعنى لا للفظ، وبهذا الرأى نستطيع أن ننفي عن لغتنا العربية الاتهام الموجه إليها وهو أنها تعنى باللفظ وحده دون المعنى.

(١٠٢) سورة الانعام /١٢٥.

(١٠٣) سورة فاطر /٢٧.

(١٠٤) سورة الأحقاف /٢٦.

(*) أى (ما) و (إن).

(١٠٥) سورة الحديد /١٣.

وإما بلفظة ويكون فى الاسم والفعل والحرف، والجملة الاسمية، نحو: (قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ) (١٠٦) و (دَكًّا دَكًّا) (١٠٧)، والفعل (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ) (١٠٨)، واسم الفعل، نحو (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) (١٠٩)

والحرف. نحو: (فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) (١١٠)، (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ)، (١١١) والجملة. نحو: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) (١١٢) والأحسن اقتران الثانية بثم، نحو (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) (١١٣)، (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) (١١٤)، ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو: (اسْكُنْ أَنْتَ

---

(١٠٦) سورة الانسان /١٥، ١٦.

(١٠٧) سورة الفجر /٢١.

(١٠٨) سورة الطارق /١٧.

(١٠٩) سورة المؤمنون /٣٦.

(١١٠) سورة هود /١٠٨.

(١١١) سورة المؤمنون /٣٥.

(١١٢) سورة الشرح /٥، ٦.

(١١٣) سورة الانفطار /١٧-١٨.

(١١٤) سورة التكاثر /٣، ٤ ويري الرضى أن هذا ليس من قبيل التأكيد إنما هو من قبيل وقوع الحدث مرتين يتراخ بينهما. وإلا لما كان لـ (ثم) معنى. شرح الكافية.

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (١١٥)، (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ) (١١٦)، (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) (١١٧)، ومن تأكيد المنفصل بمثله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (١١٨)...." (١١٩)

ثم انظر إلى حديث الزركشي عن التوكيد اللفظي، يقول :

"فاللفظي تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه، فمن المرادف (فِجَاجًا سُبُلًا) (١٢٠) (ضَيِّقًا حَرِجًا) (١٢١) في قراءة كسر الراء (١٢٢) (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) (١٢٣).

وجعل الصغار منه قوله تعالى :(فيما إن مكناكم فيه) (١٢٤) علي القول بأن كليهما للنفي. (١٢٥)

---

(١١٥) سورة البقره /٣٥.

(١١٦) سورة المائده /٢٤.

(١١٧) سورة الأعراف /١١٥.

(١١٨) سورة يوسف /٣٧.

(١١٩) الإتقان ٣/١٩٧-١٩٨.

(١٢٠) سورة الأنبياء /٣١.

(١٢١) سورة الأنعام /١٢٥.

(١٢٢) قراء حكيت عن الفراء. انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/٨٢. والمراد بالمرادفة تقارب اللفظين فى المعنى.

(١٢٣) سورة فاطر /٢٧.

(١٢٤) سورة الأحقاف /٢٦.

(١٢٥) معنى هذا أن (ما) حرف مثل (إن) والظاهر أنها اسم بدليل دخول (فى) عليها إذ لو كانت حرفا لما دخلت عليها (فى) لأن الحرف لا يدخل على الحرف، وكذلك عود الضمير فى (فيه) عليها أى في الذى مكناكم فيه.

واللفظي يكون في الاسم النكرة بالإجماع، نحو (قواريرا قواريرا) [١٢٦] وجعل ابن مالك وابن عصفور منه : (دكادكا) [١٢٧] و(صفا صفا) [١٢٨] وهو مردود ؛ لأنه جاء في التفسير أن معنى (دكا دكا) (دكا) بعد (دك)، وأن الدك كرر عليها حتي صار هباء منثورا، وأن معنى (صفا صفا) أنه تنزل ملائكة كل سماء يصطفون صفا بعد صف، محدقين بالإنس والجن. وعلى هذا فليس الثاني منهما تكرارا للأول، بل المراد به التكثير، نحو : جاء القوم رجلا رجلا، وعملته الحساب بابا بابا... ويكن في اسم الفعل، كقوله تعالي : (هيهات هيهات لما توعدون) [١٢٩] وفى الجملة نحو : (إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) [١٣٠] ولكون الجملة الثانية للتوكيد سقطت من مصحف ابن مسعود. ومن قراءته. [١٣١]

والأكثر فصل الجملتين بثم، كقوله : (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك) [١٣٢]، (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) [١٣٣]

---

(١٢٦) سورة الإنسان /١٥-١٦.

(١٢٧) سورة الفجر /٢١-٢٢.

(١٢٨) سورة الفجر /٢٢.

(١٢٩) سورة المؤمنون /٣٦.

(١٣٠) سورة الأنشراح /٥-٦.

(١٣١) ذكره صاحب الكشاف ٤/٦١٥.

(١٣٢) سورة الأنفطار /١٧-١٨.

(١٣٣) سورة التكاثر /٣-٤.

ويكون في المجرور، كقوله : (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها) (١٣٤) والأكثر فيه اتصاله بالمذكور.

وزعم الكوفيون أنه لا يجوز الفصل بين التوكيد والمؤكد، قال الصفار في شرح سيبويه : والسماع يرده ، قال تعالى :(وهم بالآخرة هم كافرون) (١٣٥) فإن (هم) الثانية تأكيد للأولى، وقوله :(وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها) وقوله : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) (١٣٦) ألا تري أن قبله : (ولماجاءهم كتاب) فأكد (لما) وبينهما كلام، وأصله : (يستفتحون على الذين كفروا) فكرر للطول الذى بين (لما) وجوابها. وقوله (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) (١٣٧) في أحد القولين، لأنه أكد (أن) بعد ما فصل" (١٣٨)

د) ونراه أحيانا يختصر ما فى البرهان مع تغير فى الصياغة :

يقول :(... حذف المبتدأ يكثر فى جواب الاستفهام، نحو (وما أدراك ماهية نار) (١٣٩) أى : هى نار.

---

(١٣٤) سورة هود /١٠٨.

(١٣٥) سورة هود /١٩.

(١٣٦) سورة البقرة /٨٩.

(١٣٧) سورة المؤمنون /٣٥

(١٣٨) البرهان ٢/٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧.

(١٣٩) سورة القارعة / ٩-١٠.

وبعد فاء الجواب (من عمل صالحا فلنفسه) [١٤٠] أي فعمله لنفسه، (ومن أساء فعليها) [١٤١] أي فاساءته عليها.

بعد القول، نحو (وقالوا أساطير الأولين) [١٤٢]، (قالوا أضغاث أحلام) [١٤٣]. **وبعد ما الخبر صفة له في المعنى**، نحو: (التائبون العابدون) [١٤٤] ونحو : (صم بكم عمى) [١٤٥]

ووقع في غير ذلك، نحو (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل) [١٤٦] (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) [١٤٧] أي هذا (سورة أنزلناها) [١٤٨] أي هذه [١٤٩]:

وتحت عنوان (حذف المبتدأ) يقول الزركشي :

"...حذف المبتدأ، كقوله تعالى: (ثلاثة) و (خمسة) و (سبعة) [١٥٠] أي هم ثلاثه وهم خمسه وهم سبعة.

---

(١٤٠) سورة الجاثية /١٥.

(١٤١) سورة الجاثية /١٥.

(١٤٢) سورة الفرقان /٥.

(١٤٣) سورة يوسف /٤٤.

(١٤٤) سورة التوبة /١١٢.

(١٤٥) سورة البقرة /١٨.

(١٤٦) سورة آل عمران /١٩٦.

(١٤٧) سورة الأحقاف /٣٥.

(١٤٨) سورة النور/١.

(١٤٩) الاتقان ٣/١٨٤-١٨٥.

(١٥٠) سورة الكهف : ١٢ (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم).

وقوله : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة) (١٥١) أي إحداهما ، بدليل قوله بعده : (وأخرى كافرة).

وقوله : (بلاغ فهل يهلك) (١٥٢)، أي هذا بلاغ.

وقوله :(بل عباد مكرمون) (١٥٣)، أي هم عباد.

وعلى هذا قال أبو علي : قوله تعالى : (بشر من ذلكم النار) (١٥٤)، أي هي النار وقوله : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار) (١٥٥) أي هو النار، ويمكن أن يكون (النار) في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها ، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلا من (سوء العذاب).

وقوله : (فقالوا ساحر كذاب) (١٥٦) أي هذا ساحر.

وقوله : (إلا قالوا ساحر أو مجنون) (١٥٧) (وقالوا أساطير الأولين) (١٥٨) (وقل الحق من ربكم) (١٥٩) ،أي هذا الحق من ربكم ،

---

(١٥١) سورة آل عمران /١٣.

(١٥٢) سورة الاحقاف /٣٥.

(١٥٣) سورة الانبياء /٢٦.

(١٥٤) سورة الحج/٧٢، وتتمتها : (النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير).

(١٥٥) سورة المؤمن ٤٥، ٤٦ وتتمتها (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب".

(١٥٦) سورة المؤمن /٢٤.

(١٥٧) سورة الذاريات /٥٢.

(١٥٨) سورة الفرقان /٥.

(١٥٩) سورة الكهف/٢٩

وليس هذا كما يظنه بعض الجهال أى قل القول الحق، فإنه لو أريد هذا لنصب "الحق"، والمراد إثبات أن القرآن حق، ولهذا قال : (من ربكم): وليس المراد هنا قول حق مطلق، بل هذا المعنى مذكور فى قوله :(وإذا قلتم فاعدوا) (١٦٠)، وقوله : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) (١٦١)

وقوله : (سورة أنزلناها) (١٦٢)، أى هذه سورة.

(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (١٦٣) أى فعمله لنفسه وإساءته عليها.

وقوله :(وإن مسه الشر فيئوس قنوط) (١٦٤) أى فهو يئوس.

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل) (١٦٥) أى تقلبهم متاع، أو ذلك متاع.

(وما أدراك ما الحطمه. نارالله الموقده) (١٦٦) أى والحطمه نار الله ..." (١٦٧)

---

(١٦٠) سورة الانعام /١٥٢.

(١٦١) سورة الأعراف /١٦٩.

(١٦٢) سورة النور/١.

(١٦٣) سورة فصلت /٤٦.

(١٦٤) سورة فصلت /٤٩.

(١٦٥) سورة آل عمران ١٩٦-١٩٧.

(١٦٦) سورة الهمزة : ٥-٦.

(١٦٧) البرهان ٣/١٣٥-١٣٦.

ومن ذلك أيضا قول السيوطي : (... تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين. وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق فإنه لرفع توهم المجاز في المسند إليه. كذا فرق به ابن عصفور وغيره.

ومن ثم رد بعض أهل السنة على بعض المعتزلة في دعواه نفي التكليم حقيقة بقوله (وكلم الله موسى تكليما) (١٦٨) لأن التوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثلته (وسلموا تسليما) (١٦٩)، (يوم تمور السماء مورا. وتسير الجبال سيرا) (١٧٠) (جزاؤكم جزاء موفورا) (١٧١)

وليس منه (وتظنون بالله الظنونا) (١٧٢) بل هو جمع (ظن) لاختلاف أنواعه. وأما (إلا أن يشاء ربي شيئا) (١٧٣) فيحتمل أن يكون منه وأن يكون الشئ بمعنى الأمر والشأن.

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو (اذكروا الله ذكرا كثيرا) (١٧٤) (وسرحوهن سراحا جميلا). (١٧٥)

---

(١٦٨) سورة النساء /١٦٤.

(١٦٩) سورة الأحزاب /٥٦.

(١٧٠) سورة الطور ٩/١٠.

(١٧١) سورة الاسراء /٦٣.

(١٧٢) سورة الاحزاب /١٠.

(١٧٣) سورة الأنعام /٨٠.

(١٧٤) سورة الأحزاب /٤١.

(١٧٥) سورة الأحزاب /٤٩.

وقد يضاف وصفه إليه، نحو المصدر (اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ) (١٧٦)

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابة عن المصدر، نحو (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) (١٧٧) والتبتل مصدر (بتّل). (وَاللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) (١٧٨) أي إنباتا، إذ النبات اسم عين" (١٧٩)

ثم انظر إلي ما في البرهان لترى تغيير السيوطي الصياغة بالتقديم والتأخير.

يقول الزركشي :" ... تأكيد الفعل بالمصدر، ومنه قوله تعالى : (جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) (١٨٠)، وقوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (١٨١)، (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (١٨٢) وقوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) (١٨٣)، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (١٨٤) (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) (١٨٥)، (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ

---

(١٧٦) سورة آل عمران /١٠٢

(١٧٧) سورة المزمل / ١٩.

(١٧٨) سورة نوح /١٧.

(١٧٩) الاتقان ٣/١٩٨-١٩٩.

(١٨٠) سورة الاسراء /٦٣.

(١٨١) سورة النساء/ ١٦٤.

(١٨٢) سورة الأحزاب /٥٦.

(١٨٣) سورة الطور /٩-١٠.

(١٨٤) سورة النمل /٨٨.

(١٨٥) سورة الحاقة /١٤.

زِلْزَالَهَا) (١٨٦)، (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) (١٨٧) وهو كثير- قولوا : وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، فقولك : (ضربت ضربا) بمنزلة قولك "ضربت، ضربت" ثم عدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالمفرد.

وليس منه قوله تعالي :(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) (١٨٨)، بل هو جمع "ظن" وجمع لاختلاف أنواعه، قاله ابن الدهان.

ثم اختلفوا في فائدته، فقيل : إنه يرفع المجاز عن الفاعل، فإنك تقول "ضرب الأمير اللص"، ولا يكون باشر بل أمر به، "ضربا" علم أنه باشر.

وممن نص على ذلك ثعلب في "أماليه" وابن عصفور في شرح "الجمل الصغير" والصواب أنه إنما يرفع الوهم عن الحديث لا عن المحدث عنه، فإذا قلت "ضرب الأمير" احتمل مجازين:

أحدهما : إطلاق الضرب على مقدماته.

الثانى : أطلاق الأمير على أمره، فإذا أردت رفع الأول أتيت بالمصدر، فقلت "ضربا" وإن أردت الثانى قلت نفسه أو عينه.

ومن هذا يعلم ضعف استدلال أصحابنا على المعتزلة فى إثبات كلام الله لموسى فى قوله :(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (١٨٩). فإنه لما أريد كلام الله نفسه قال (تكليما)ودل على وقوع الفعل حقيقة، أماتأكيد فاعله فلم يتعرض له.

---

(١٨٦) سورة الزلزله /١.

(١٨٧) سورة يوسف /٥.

(١٨٨) سورة الأحزاب /٦.

(١٨٩) سورة النساء /١٦٤.

ولقد سخف عقل من تأوله على أنه كلّمه بأظفار المِحَنْ، من الكلْم وهو الجرح(١٩٠)، لأن الآية مسوقه فى بيان الوحى.

وحكى أنه استدل بعض علماء السنة على بعض المعتزلة فى اثبات التكليم حقيقة بالآية من جهة أن المجاز لا يؤكد، فسلم المعتزلى هذه القاعده وأراد دفع الاستدلال من جهة أخري، فادعى أن اللفظ إنما هو (وكلم الله موسى) بنصب لفظ الجلاله، وجعل موسى فاعلا بـ "كلم" وأنكر القراءة المشهورة وكابر، فقال السنى : فماذا تصنع بقوله تعالي : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (١٩١) !؟ فانقطع المعتزلى عند ذلك.

قال ابن الدهان : ومما يدل علي أن التأكيد لا يرفع المجاز قول الشاعر:

قَرَعْتُ ظَنَابِيبَ الْهَوَى يَوْمَ عَالِجٍ وَيَوْمَ اللّوَى حَتّى قَسَرْتُ الْهَوَى قَسْرا (١٩٢)

قلت : وكذا قوله: (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا) (١٩٣)

وأما قوله تعالى : (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) (١٩٤)، فمفعول (أسررت) محذوف، أى الدعاء والإنذار ونحوه.

---

(١٩٠) فى الكشاف ٤٥٨/١ " ومن بدع التفاسير أنّه من الكلْم، وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن".

(١٩١) سورة الأعراف /١٤٣.

(١٩٢) البيت فى اللسان ٢، ٦١، عن ابن الأعرابى، والظنبوب : هو حرف العظم اليابس من الساق، ويقال : قرع ظنابيب الأمر، أى ذلله، على المجاز.

(١٩٣) سورة النمل : ٥٠.

(١٩٤) سورة نوح /٩.

فان قلت : التأكيد ينافى الحذف، فالجواب من وجهين.

أحدهما : أن المصدر لم يؤت به هنا للتأكيد وإن كان بصورته، لأن المعنى ليس على ذلك، وإنما أتى به لأجل الفواصل، ولهذا لم يؤت بمصدر (أعلنت) وهو مثله.

والثانى : أن (أسر) وإن كان متعديا فى الأصل، إلا أنه هنا قطع النظر عن مفعوله وجعل نسيا، كما فى قولهم : (فلان يعطى ويمنع) فصار لذلك كاللازم وحينئذ فلا منافاة بين المجئ به بالمصدر لو كان.

ثم التأكيد بالمصدر تارة يجئ من لفظ الفعل كما سبق، وتارة يجئ من مرادفه كقوله تعالى : (إِنِّي دَعَوْتُهُم جِهَارا) (١٩٥)، فإن الجهار أحد نوعى الدعاء، قوله : (لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِم)، فانه منصوب بقوله : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِم) (١٩٦)، لأن "لَيّاً" نوع من التحريف ويحتمل أن يكون منه : (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً) (١٩٧)، لأن البهتان ظلم، والأخذ على نوعين: ظلم وغيره.

وزعم الزمخشرى قوله : (نَافِلَةً لَكَ) (١٩٨)، وضع (نافلة) موضع "تهجدا" لأن التهجد عبادة زائدة، فكأن التهجد والنافلة يجمعها معنى واحد. (١٩٩)

---

(١٩٥) سورة نوح /٨.

(١٩٦) سورة النساء /٤٦.

(١٩٧) سورة النساء /٢٠.

(١٩٨) سورة الاسراء /٧٩، والآية بتمامها : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا".

(١٩٩) الكشاف ٢/٥٣٦.

وقوله : (وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) (٢٠٠)، قيل : كأن الأصل تكرار الصدق بلفظه فاستثقل التكرار للتقارب، فعدل إلي ما يجاريه خفة ولتجرى المصادر الثلاثة مجرى واحد، خفة ووزنا، إحرازا للتناسب.

وأما قوله تعالى :(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً) (٢٠١) ففائدة (إخراجا) أن المعاد فى الأرض هو الذي يخرج منها بعنيه دفعا لتوهم من يتوهم أن المخرج منها أمثالهم : وأن المبعوث الأرواح المجردة.

فإن قيل : هذا يبطل بقوله : (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) فإنه أكد بالمصدر، وليس المراد حقيقة النبات.

قلت : لا جرم حيث لم يرد الحقيقة هذا لم يؤكده بالمصدر الحقيقى القياسى، بل عدل به إلي غيره، وذلك لأن مصدر "أنبت" الإنبات" والنبات أسمه لا هو كما قيل في "الكلام" و"السلام" : اسمان للمصدر الأصلي الذي هو "التكليم" و"التسليم" (٢٠٢)

وأما قوله : (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) (٢٠٣) وإن لم يكن جاريا على (تبتل) لكنه ضمن معنى "بتل نفسك تبتيلا".

---

(٢٠٠) سورة النساء /١٢٢.

(٢٠١) سورة نوح ١٧-١٨.

(٢٠٢) أكثر المتقدمين يجعلون المصدرهو الدال على الفعل الذى هو الحدث فليس عندهم مصدر واسم مصدر، بل كل ما دل على الحدث فهو مصدر. شرح الشافية ١/١٦٠ هامش.

(٢٠٣) سورة المزمل /٧.

ومثله قوله :(وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيرا) (٢٠٤) قال أبو البقاء : هو موضع (تعاليا) لأنه مصدر قوله (تعالى). ويجوز أن يقع مصدرا فى موضع آخر من معناه، وكذا قال الراغب،قال : وانما عدل عنه لأن لفظ التفاعل من التكلف، كما يكون من البشر. (٢٠٥)

وأما قوله :(يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرا) (٢٠٦) فقال بعضهم : الجملة الفاعلية تحتمل المجاز فى مفرديها جميعا وفى كل منهما، مثاله ها هنا أنه يحتمل أن المجاز في (تمور)، وأنها ما تمور، بل تكاد أن يخيل إلي الناظر أنها تمور ويحتمل أن المجاز فى السماء. وأن المور الحقيقي لسكانها وأهلها لشدة الأمر. وكذلك الكلام فى (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرا) فإذا رفع المجاز عن أحد جزأى الجملة ففى احتماله في الآخر، فلم تحصل فائدة التأكيد.

وأجيب بهذه القاعدة : وهى أن (مورا) فى تقدير (تمور) فكأنه قال "تمور السماء، تمور السماء" و"تسير الجبال، تسير الجبال" فأكد كلا من الجزأين بنظيره، وزال الاشكال.

وأما قوله تعالي :(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئا) (٢٠٧) فيحتمل أن يكون (شيئا) من تأكيد الفعل بالمصدر، كقوله :"بعت بيعا"، ويجوز

---

(٢٠٤) سورة الاسراء /٤٣.

(٢٠٥) المفردات في غريب القرآن ٢٥١ وعبارته :"وتخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التكلف، كما يكون من البشر".

(٢٠٦) سورة الطور /٩-١٠.

(٢٠٧) سورة الأنعام /٨٠.

أن يكون الشئ بمنزلة الأمر والتبيان، والمعنى:"إلا أن يشاء ربي أمرا" أو وضع موضع المصدر...

واعلم أن القاعدة في المصدر والمؤكد أن يجئ إتباعا لفعله، نحو: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (٢٠٨)، وقد يخرج عنها نحو قوله تعالى: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) (٢٠٩) وقوله تعالى: (فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا) (٢١٠) وقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (٢١١) وقوله تعالى: (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) (٢١٢) ولم يقل "تبتلا" و"تعذيبا" و"إقراضا" و "إنباتا" (٢١٣)

هـ) يغلب على السيوطي - فيما تناول من أبواب النحو المشهورة الإجمال وذلك بذكر القاعدة والتمثيل عليها ونقل بعض أقوال العلماء الذين ذكرهم الزركشي.

بينما غلب على الزركشي التفصيل وذكر الجزئيات ونقل أقوال العلماء ومناقشة بعضها.

يقول السيوطي في (البدل)

"والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وفائدته البيان والتأكيد، أما الأول فواضح أنك إذا قلت :"رأيتُ زيداً أخاك" بينت أنك تريد بزيد

---

(٢٠٨) سورة النساء /١٦٤.

(٢٠٩) سورة المزمل /٧.

(٢١٠) سورة المائدة /١١٥.

(٢١١) سورة الحديد /١٧.

(٢١٢) سورة نوح /١٧.

(٢١٣) البرهان ٢/٣٩١.

الأخ لا غير أما التأكيد فلأنه على نيه تكرار العامل، فكأنه من جملتين، ولأنه دل على مادل عليه الأول، إما بالمطابقة فى بدل الكل، أو بالتضمن فى بدل البعض أو بالالتزام في بدل الاشتمال.

مثال الأول : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم) (٢١٤)، (لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ) (٢١٥)، (لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) (٢١٦).

ومثال الثانى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا) (٢١٧)، (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) (٢١٨).

ومثال الثالث : (وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) (٢١٩)، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) (٢٢٠)، (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ) (٢٢١)، (لِجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِم) (٢٢٢).

---

(٢١٤) سورة الفاتحة /٦-٧.

(٢١٥) سورة الشورى /٥٢-٥٣.

(٢١٦) سورة العلق /١٥-١٦.

(٢١٧) سورة آل عمران /٩٧.

(٢١٨) سورة البقرة /٢٥١.

(٢١٩) سورة الكهف /٦٣.

(٢٢٠) سورة البقرة /٢٢١٧.

(٢٢١) سورة البروج /٤-٥.

(٢٢٢) سورة الزخرف /٣٣.

وزاد بعضهم بدل الكل من البعض، وقد وجدت له مثالا في القرآن، وهو قوله : (يَدْخُلونَ الجَنَّةَ وَلا يُظْلَمونَ شَيْئا جَنّاتُ عَدْنٍ) (٢٢٣)، فـ "جنات عدن" بدل من "الجنة" التي هي بعض، وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة. (٢٢٤)

---

(٢٢٣) سورة مريم /٦٠-٦١.

(٢٢٤) أثبت بعض النحاة بدل الكل من البعض واستدلوا - بالإضافة إلى ما ذكره السيوطي - يقول عبيد الله بن قيس الرقيات (ديوانه ٢٠)

رَحِمَ اللّهُ أعْظُماً دَفَنُوها بِسِجِسْتانَ طَلْحَةَ الطَّلَحات

- البيت من الخفيف - ورد في اللسان (ط ل ح) والإنصاف ١/ ٤١ وابن يعيش ١/٤٧./ فـ "طلحة" بدل من أعظم وهي بعضه.

ويقول امرئ القيس :

كَأَنِّيَ غداةَ البين يوم تحمّلوا لدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

- تحملوا : ترحلوا، والسمرات : جمع سمرة ، وهي شجرة الطلح، وناقف الحنظل من يخرج حب الحنظل ،ورد البيت في الاشموني ١٢٦/٣ "فيوم" بدل من "غداة"، وهي بعضه.

ونفى الجمهور هذا النوع وتأولوا هذه الشواهد على أنها من بدل الكل من الكل.

يقول أبو الحسن الأشموني :"... زاد بعضهم بدل كل من بعض، كقوله : كأني غداة البين ...

ونفاه الجمهور وتأول البيت، وعلق الصبان قائلا:"بأن اليوم بمعنى الوقت فهو من بدل الكل، انظر ١٢٦/٣.

واختار السيوطي في الهمع ١٢٧/٢ رأي البعض فقال :

"والمختار خلافا للجمهور اثبات بدل الكل من البعض لوروده في الفصيح...".

قال ابن السيد : وليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذى يعرض فى المبدل منه، بل من البدل ما يراد به التأكيد، وإن كان ما قبله غنيا عنه، كقوله (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ) (٢٢٥)، ألا تري أنه لو لم يذكر الصراط الثانى لم يشك أحد في أن الصراط المستقيم، هو صراط الله ! وقد نص سيبوية (٢٢٦) على أن من البدل، مالغرض منه التأكيد. انتهى" (٢٢٧).

ثم انظر إلي "البدل" فى البرهان لترى توضيح الزركشى وتفصيله، حيث يقول :"البدل" والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان والتأكيد ... أما البيان فإنك إذا قلت :"رأيت زيدا أخاك " بينت أنك تريد بزيد الأخ لا غيره، وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل، ألا ترى أنك إذا قلت : "ضربت زيدا" جاز أن تكون ضربت رأسه أو يده أو جميع بدنه، فاذا قلت :"يده" فقد رفعت ذلك الإبهام، فالبد جار مجرى التأكيد، لدلالة الأول عليه، أو المطابقة كما فى بدل الكل، أو التضمين كما فى بدل البعض، أو الالتزام كما في بدل الاشتمال، فإذا قلت :"ضربت زيدا رأسه فكأنك قد ذكرت الرأس مرتين، مرة بالتضمين وأخرى بالمطابقة، وإذا قلت "شربت ماء البحر بعضه" فانه مفهوم من قولك "شربت ماء البحر" أنك لم تشربه كله فجئت بالبعض تأكيدا.

---

(٢٢٥) سورة الشوري /٥٢-٥٣.

(٢٢٦) انظر الكتاب ٢/٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢٢٧) الاتقان ٣/٢١٠-٢١١.

وهذا معنى قوله سيبوية [٢٢٨]: ولكنه بنى الاسم تأكيدا وجرى مجرى الصفة في الإيضاح لأنك إذا قلت : "رأيت أبا عمرو زيدا" ، "ورأيت غلامك زيدا"، "ومررت برجل صالح زيد" فمن الناس من يعرفه بأنه غلامك، أو بأنه رجل صالح، ولا يعرف أنه زيد، وعلى العكس، فلما ذكرتهما أثبت باجتماعهما المقصود.

وهذا معنى قول الزمخشري : وإنما يذكر الأول لتجوز التوطئه [٢٢٩]، وليفاد بمجموعها فضل تأكيد وتبيين لا يكون فى الإفراد [٢٣٠].

وقال ابن السيد/ ليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذى يعرض فى المبدل منه بل من البدل ما يراد به التأكيد، وإن كان ما قبله غنيا عنه، كقوله تعالي : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ) [٢٣١]. ألا ترى أنه لو لم يذكر (الصراط) الثاني لم يشك أحد أن الصراط المستقيم هو صراط الله.

وقد نص سيبوية على أن من البدل مالغرض منه التأكيد، ولهذا جوزوا بدل المضمر من المضمر،كلقيته أياه. انتهى.

والفرق بينه وبين الصفة أن البدل في تقدير تكرار العامل، وكأنه في التقدير من جملتين بدليل تكرر حرف الجر فى قوله :

---

(٢٢٨) انظر الكتاب ١/ ١٥٠.

(٢٢٩) فى المفصل : "لنحو من التوطئه" ص ١٢١.

(٢٣٠) المفصل ١٢١.

(٢٣١) سورة الشوري /٥٢-٥٣.

(قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) (٢٣٢)، وبدليل بدل النكرة من المعرفة والمظهر من المضمر، وهذا مما يمتنع في الصفة، فكما أعيدت اللام الجارة في الاسم، فكذلك تكرار العامل الرافع أو الناصب في تقدير التكرار، وهو إن كان كذلك فلا يخرج عن أن يكون فيه تبيين للأول كالصفة.

وقيل لأبى على : كيف يكون البدل إيضاحا للمبدل منه، وهو من غير جملته؟ فقال : لما لم يظهر العامل في البدل، وإنما دل عليه العامل فى المبدل منه، واتصل البدل بالمبدل منه في اللفظ، جاز أن يوضحه.

ومن فوائد البدل التبيين على وجه المدح فقولك : هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان، أبلغ من قولك : فلان الأكرم والأفضل، بذكره مجملا ثم مفصلا.

وقال الأخفش والواحدى فى بدل البعض من الكل، نحو : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (٢٣٣) : يسمى هذا بدل البيان، لأن الأول يدل على العموم ثم يؤتى بالبدل إن أريد البعض.

واعلم أن في كلا البدلين - أعنى بدل البعض وبدل الاشتمال - بيانا وتخصيصا للمبدل منه، وفائدة البدل أن ذلك الشئ يصير مذكورا مرتين : إحداهما بالعموم والثانية بالخصوص.

---

(٢٣٢) سورة الأعراف / ٧٥.

(٢٣٣) سورة آل عمران/٩٧.

ومن أمثلته قوله تعالي : (أهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم. صِرَاطَ الَّذِين) (٢٣٤). (وآمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِين. رَبِّ مُوسَى وهَارُون) (٢٣٥). وقوله: (لَنَسْفَعاً بالنَّاصِية. نَاصِيةٍ كَاذِبَةٍ) (٢٣٥) وفائدة الجمع بينهما أن الأولى ذكرت للتنصيص على "ناصية" والثانية على علة السفع ليشمل بذلك ظاهر كل ناصية هذه صفتها.

ويجوز بدل المعرفة من المعرفة، نحو (الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم. صِرَاطَ الَّذِين) (٢٣٧). وبدل النكرة من المعرفة، نحو : (بالنَّاصِيَة. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ) (٢٣٨). قال ابن يعيش : ولا يحسن بدل النكرة من المعرفة حتى توصف كالآية، لأن البيان مرتبطة بهما جميعا. (٢٣٩)

---

(٢٣٤) سورة الفاتحة /٦. ٧.

(٢٣٥) سورة الشعراء /٤٧-٤٨.

(٢٣٦) سورة العلق /١٥-١٦.

(٢٣٧) سورة الفاتحة /٦-٧.

(٢٣٨) سورة العلق /١٥-١٦.

(٢٣٩) شرح المفصل جـ٣ ص ٦٨، وما ذكره الزركشى نقلا عن ابن يعيش هو رأى الكوفيين والبغداديين، أما الجمهور فلا يشترطون هذا الشرط جاء في همع الهوامع:"ومنع أهل الكوفة وبغداد بدل النكرة من المعرفة ما لم توصف ووافقهم السهيلى وابن أبي الربيع نحو قوله تعالى :(عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَال فِيه) لأنها - أى النكرة - إذا لم توصف لم تفد إذ لا فائدة فى قولك، مررت بزيد برجل، وزاد أهل بغداد أن يكون من لفظ الأول كما فى قوله تعالى: (بالناصية ناصية) والجمهور : أطلقوا الجواز. =

والنكرة من النكرة ، كقوله تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا. حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا) (٢٤٠). فحدائق وما بعدها بدل من مفازا.

ومنه قوله تعالى : (وَغَرَابِيبُ سُود) (٢٤١)، فإن "سود" بدل من "غرابيب" لأن الأصل "سود غرابيب" فغرابيب فى الأصل صفة لسود، ونزع الضمير منها وأقيمت مقام الموصوف، ثم أبدل منها الذي كان موصوفا بها، كقوله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا) (٢٤٢). وقوله. (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) (٢٤٣)، فهذا بدل نكرة موصوفه من أخرى موصوفة فيها بيان الأول.

= لورودها غير موصوفة وليست من لفظ الأول كقول أبي داود الايادى:

فصدوا من خيارهن لِقَاحا يقاذفن كالغصون عزاز

ف "عزاز" بدل من الضمير في "يتقاذفن"...

وأجيب عما ذكر من عدم الفائدة بأنه علم من طريقة العرب أنهم يسمون المذكر بالمؤنث وعكسه، ففائدة الابدال رفع الالباس نحو مررت بهند رجل، وبجعفر امرأة". الهمع ١٢٧/٢، وانظر شرح الجمل لابن عصفور ٢٨٦/١.

(٢٤٠) سورة عم/٣١-٣٢-٣٣-٣٤.

(٢٤١) سورة فاطر /٢٧.

(٢٤٢) سورة آل عمران /٨٥.

(٢٤٣) سورة يوسف /٢٠.

ومثل إبدال النكرة المجردة من مثلها مجردة، وبدل المعرفة من النكرة : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم. صِرَاطِ اللّهِ) (٢٤٤) لأن "صراط الله" مبين إلى الصراط المستقيم فإن مجئ الخاص والأخص بعد العام والأعم كثير، ولهذا المعنى قال الحذاق فى قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) (٢٤٥) أنه لو عكس فقيل :"ما يقول من لفظ" لم يجز، لأن القول أخص من اللفظ، لاختصاصه بالمستعمل، واللفظ يشمل المهمل الذى لا معنى له.

وقد يجئ للاشتمال، والفرق بينه وبين بدل البعض، أن البدل فى البعض جر في الاشتمال وصفا، كقوله :(وَمَا أَنْسَانِيه إِلاّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه) (٢٤٦) فان (أذكره) بمعنى (ذكره)، وهو بدل من الهاء في (أنسانيه) العائد الى الحوت وتقديره "وما أنسانى ذكره إلا الشيطان".

وقوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) (٢٤٧) فـ (قتال) بدل من الشهر بدل الاشتمال، لأن الشهر يشتمل على القتال وعلى غيره، كما كان زيد يشتمل على العقل وغيره، وهو مؤكد لأنهم لم يسألوا عن الشهر الحرام فإنهم يعلمونه، وإنما سألوا عن القتال فيه فجاء به تأكيدا.

---

(٢٤٤) سورة الشورى /٥٢-٥٣.

(٢٤٥) سورة ق /١٨.

(٢٤٦) سورة الكهف /٦٣.

(٢٤٧) سورة البقرة /٢١٧.

وقوله : (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ) (٢٤٨)، فـ (النار) بدل من (الأخدود) بدل اشتمال لأنه يشتمل على النار وغيرها، والعائد محذوف تقديره : "الموقدة فيه".

ومن بدل البعض قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (٢٤٩) فالمستطيعون بعض الناس، لا كلهم.

قال ابن برهان : بل هذه بدل كل من كل ، واحتج بأن الله لم يكلف الحج من لا يستطيعه فيكون المراد بالناس بعضهم، على حد قوله :(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) (٢٥٠)، في أنه لفظ عام أريد به خاص، لأن (الناس) في اللفظ الأول لو كان المراد به الاستغراق لما انتظم قوله بعده : (ان الناس) فعلى هذا هو عنده مطابق لعدة المستطيعين في كميتهم، وهم بعض الناس لا جميعهم.

والصحيح ما صار إليه الجمهور، لأن باب البدل أن يكون في الثاني بيان ليس في الأول، بأن يذكر الخاص بعد العام مبينا وموضحا.

ولابد في إبدال البعض من ضمير (٢٥١)، كقوله : (وَلَوْلَا دَفْعُ

---

(٢٤٨) سورة البروج / ٤-٥.

(٢٤٩) سورة آل عمران /٩٧.

(٢٥٠) سورة آل عمران / ١٧٣.

(٢٥١) هذا الشرط ليس خاصا ببدل البعض - كما ذكر الزركشي - وإنما الشرط أيضا في بدل الاشتمال - جاء في همع الهوامع : "وكذا عود ضمير فيهما - أي في بدل الاشتمال والبعض - على المبدل منه ملفوظا أو مقدرا ليحصل الربط نحو : (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ) المائدة /٧١، وقوله (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ) آل عمران /٩٧ أي منهم، وقوله (أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ) البروج /٤-٥. أي فيه. =

اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) (٢٥٢) (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ) (٢٥٣).

وقد يحذف لدليل، كقوله: (ولله على الناس حج البيت من استطاع) (٢٥٤)، "منهم" (٢٥٥) وهو مراد بدليل ظهوره في الآيه الأخري، وهى قوله: (أَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنهم) (٢٥٦)،

= ولم يشترط ذلك فى بدل الكل لأنه نفس المبدل منه في المعنى، كما أن جملة الخبرالتى هى نفس المبتدأ فى المعنى لاتحتاج إلي رابط. انظر جـ٢ ص ١٢٧.

وشرط الرضى ذلك فى بدل الكل من الكل يقول: "إن هذا يشترط في بدل الكل إذا كان ضميرا لا يستغنى عنه نحو: "ضربت الذى مررت به أخيك" أو ملتبسا بضمير كذلك نحو: " الذى ضربت أخاه زيدا كريم" شرح الكافية ٣٤٢/١.

(٢٥٢) سورة البقرة /٢٥١.

(٢٥٣) سورة الأنفال /٣٧.

(٢٥٤) سورة آل عمران/٩٧.

(٢٥٥) ذهب الكسائي إلى أنه يجوز أن تكون "من" شرطا، والجواب محذوف تقديره "فعليهم ذلك" ويرى أن حذف جواب الشرط لفهم المعنى أحسن من حذف الضمير من البدل... وقد أيد هذا الرأى ابن عصفور فقال: وهذا الذي ذهب إليه حسن جدا، انظر شرح الجمل لابن عصفور ٢٨٥/١.

(٢٥٦) سورة البقرة /١٢٦.

فـ "من آمن" بدل من "أهله"، وهم بعضهم. وقد يأتى البدل لنقل الحكم عن مبدله، نحو : " جاء القومُ أكثرهم"، وأعجبنى زيد ثوبه" وقال ابن عصفور : ولا يصح "غلمانة".

وعدل عن البدل فى قوله تعالي :(إِنَّ الَّذِين يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلون) (٢٥٧)، لأنه أريد الإخبار عنهم كلهم في الحال الثانى وهو (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) (٢٥٨)، فلو أبدل لأوهم. بخلاف: "إنك أن تقوم خير لك" البدل أرجح. والبدل فى تقدير تكرير العامل وليس كالصفة، ولكنه في تقدير جملتين بدليل تكرير حرف الجر.

وقد يكرر عامله إذا كان حرف جر، كقوله :(ومِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) (٢٥٩) فـ (طلعها) بدل اشتمال (النخل) وكرر العامل فيه، وهو (من). وقوله تعالي : (قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِه لِلَّذِينِ استُضْعِفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهم) (٢٦٠)، (لمن آمن)، بدل بعض من كل، من (الذين استضعفوا)، لأن المؤمنين بعض المستضعفين، وقد كرر اللام.

وقوله : (وَلَوْلا أَنْ يكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحمٰنِ لِبيُوتِهم سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ) (٢٦١)، فقوله :(لبيوتهم) بدل

---

(٢٥٧) سورة الحجرات/٤.

(٢٥٨) سورة الحجرات /٥.

(٢٥٩) سورة الانعام /٩٩.

(٢٦٠) سورة الأعراف /٧٥.

(٢٦١) سورة الزخرف /٣٣.

اشتمال من قوله : (لمن يكفر بالرحمن) وجعل ابن عطية اللام الأولى للملك والثانية للاختصاص، فعلي هذا يمتنع البدل لاختلاف معنى الحرفين.

وقوله تعالى : (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) (٢٦٢) فـ (لأولنا وآخرنا) بدل من الضمير في (لنا)، وقد أعيد معه العامل مقصودا به التفصيل.

ومنه قراءة يعقوب: (وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا) (٢٦٣)، قال أبو الفتح جاز إبدال الثانية من الأولى، لأن فى الثانية ذكر سبب الجثو. (٢٦٤)

قيل : ولم يظهر عامل البدل إذا كان حرف جر، إيذانا بافتقار الثانى إلى الأول، فإن حروف الجر مفتقره، ولم يظهروا الفعل، إذ لو أظهرو لانقطع الثانى في الأول بالكلية لأن الكلام مع الفعل قائم بنفسه.

واعلم انه لا خلاف في جواز إظهار العاملَ في البد إذا كان حرف جر كالآيات السابقة فإن كان رافعا أوناصبا ففيه خلاف (٢٦٥)،

---

(٢٦٢) سورة المائدة /١١٤.

(٢٦٣) سورة الجاثية /٢٨، بنصب "كل" الثانية.

(٢٦٤) المحتسب ٢/٢٦٢.

(٢٦٥) يقول أبو حيان بعد أن ذكر قوله تعالي :(فاتقوا الله وأطيعون ...) ذهب بعض النحويين إلي أن "بأنعام" بدل من قوله "(بما تعملون). وأعيد العامل كقوله تعالي :(اتبعوا المرسلين. اتبعوا من لا يسئلكم أجرا...) يس/ ٢٠-٢١، والأكثرون لا يجعلون مثل =

والمجوزون احتجوا بقوله تعالى :"فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُون. واتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِما تَعْلَمِون. أَمَدَّكُمْ...) (٢٦٦) فيجوز أن يكون (أمدكم) الثاني بدلا من (أمدكم) الأولى. وقد يكون من إبدال الجملة من الجملة، وتكون الثانية صله (الذى) كالأولى. ويجوز أن تكون الثانية شارحة للأولى كقولك : "ضربت رأس زيد قدفته بالحجر". ثم قوله تعالى : (يَا قَوْم اتبِعوا المرْسَلِين. اتَّبِعوا مَنْ لاَ يَسْأَلكُمْ) (٢٦٧)، أبدل قوله : (اتبعوا من لا يسألكم) من قوله : (اتبعوا المرسلين) لأنه أكثر تلطفا فى اقتضاء اتباعهم. وقوله تعالي :(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلقَ أَثَامَا. يُضَاعَفْ لَه العَذَابُ) (٢٦٨) فـ (يلق) مجزوم بحذف الألف لأنه جواب الشرط، ثم أبدل منه : (يضاعف له العذاب) فبين بها (الأثام) ما هو.

ثم ذكر للبدل اقساما اخرى فقال :

وينقسم البدل باعتبار آخرالي بدل مفرد من مفرد، وجملة من جملة وقد سبقا، وجملة من مفرد، كقوله تعالى : (كَمَثَل آدَمَ خَلَقَهُ

= هذا بدلا وإنما هو عندهم من تكرار الجمل وإن كان المعنى واحدا ويسمى التتبع، وإنما يجوز أن يعاد عندهم العامل إذا كان حرف جر دون ما يتعلق به نحو :"مررت بزيد بأخيك". البحر المحيط ٧/ ٣٣.

(٢٦٦) سورة الشعراء /١٣١-١٣٣.

(٢٦٧) سورة يس/ ٢٠-٢١.

(٢٦٨) سورة الفرقان /٦٨-٦٩.

مِن تُرَاب) (٢٦٩)، وقوله : (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) (٢٧٠) وجاز اسناد (يقال) إلى ما عملت فيه، كما جاز اسناد (قيل) في (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (٢٧١).

ومن ابدال الجملة من المفرد قوله تعالى : (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) (٢٧٢)، قال الزمخشري : هذا الكلام كله في محل نصب، بدلا من (النجوى) (٢٧٣)

ويبدل الفعل من الفعل الموافق له في المعنى مع زيادة بيان، كقوله : (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) (٢٧٤)، فـ (أنهم) بدل؛ لأن الإهلاك وعدم الرجوع بمعنى واحد.

فإن قلت : لو كان بدلا لكان معه الاستفهام.

قيل : هو بدل معنوي.

---

(٢٦٩) سورة آل عمران /٥٩.

(٢٧٠) سورة فصلت /٤٣.

(٢٧١) سورة المائدة /٣٢.

(٢٧٢) سورة الأنبياء/٣.

(٢٧٣) انظر الكشاف ٥٦٢/٢.

(٢٧٤) سورة يس/٣١.

يستطرد قائلا تحت عنوا (تنبيه)

وقد يكرر البدل كقوله :(إِلاَّ تَنْصُرُوه فَقَدْ نَصَرَه اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِين كَفَرُوا ثَانِى اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِى الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه) (٢٧٥)، فقوله : (إذ هما) بدل من قوله : (إذ أخرجه الذين كفروا)، وقوله : (إذ يقول لصاحبه) بدل من (إذ هما فى الغار).. (٢٧٦)

و) والسيوطى - رحمه الله - أحيانا - ينقل عن ابن هشام وعن الزركشى ويمزج بينهما ولا يشير إلى أحدهما.

يقول تحت عنوان (ذكر شروطه) - أى شروط الحذف "هى ثمانية"

أحدها : وجود دليل، إما حالي نحو : (قَالُوا سَلَاماً) (٢٧٧) ، أى سلمنا سلاما، أو مقالى نحو : (وَقِيل لِلذِينَ اتقَوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُم قَالوا خَيْرا) (٢٧٨)، (قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) (٢٧٩). أى سلام عليكم أنتم قوم منكرون) (٢٨٠)

وهذا الكلام مأخوذ من المغنى، يقول ابن هشام تحت عنوان (ذكر شروطه) وهي ثمانية:

---

(٢٧٥) سورة التوبة/ ٤٠.

(٢٧٦) البرهان ٢/٤٥٣-٤٦٢.

(٢٧٧) سورة هود /٦٩.

(٢٧٨) سورة النحل/ ٣٠

(٢٧٩) سورة الذاريات /٢٥.

(٢٨٠) الاتقان ٣/١٧٤.

أحدهما

وجود دليل حالي كقولك لمن رفع سوطا "زيدا" باضمار اضرب، ومنه (قالوا سلاما) أي سلمنا سلاما، أو مقالي كقولك لمن قال : من أضرب ؟"زيدا" ، ومثله (ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : خيرا) (٢٨١) وإنما يحتاج إلي ذلك إذا كان المحذوف الجملة بأسرها كما مثلنا ، أو أحد ركنيها نحو : (قال سلام قوم منكرون) أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون. (٢٨٢)

ثم قال السيوطي - بعد ذلك مباشرة- "ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف.

ثم تارة يدل علي أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه، بل يستفاد التعين من دليل آخر نحو : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) (٢٨٣)، فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة لأن التحريم لا يضاف إلي الإحرام، وإنما هو والحل يضافانا إلي الأفعال، فعلم بالعقل حذف شئ، وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع...

وتارة يدل العقل أيضا على التعيين، نحو : (وَجَاءَ رَبُّكَ) (٢٨٤)، أي أمره، بمعنى عذابه لأن العقل دل على استحالة مجئ الباري، لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائي أمره...

---

(٢٨١) سورة النحل /٣٠.

(٢٨٢) المغني ٢، ٦٠٣

(٢٨٣) سورة المائدة /٣.

(٢٨٤) سورة الفجر /٢٢.

وتارة يدل على التعيين العادة، نحو :(فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) (٢٨٥) دل العقل على الحذف، لأن يوسف لا يصح ظرفا للوم، ثم يحتمل أن يقدر "لتتنني فى حبه" لقوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) (٢٨٦)، وفى مراودته لقوله : (تُرَاوِدُ فَتَاهَا)، والعادة دلت على الثانى لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة، لأنه ليس اختياريا، بخلاف المراودة، للقدرة على دفعها..

ومن الأدلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف، نحو (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ) (٢٧٨)، أى مكان قتال والمراد مكانا صالحا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال. فالعادة تمنع أن يريدوا "لو نعلم حقيقه القتال"، فلذلك قدره مجاهد "مكان القتال".

ومنها الشروع في الفعل، نحو (بسم الله) فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له، فأن كانت عند الشروع فى القراءة قدرت (أقرأ) أو الأكل قدرت "آكل"، وعلى هذا أهل البيان قاطبة، خلافا لقول النحاة أنه يقدر "ابتدأت"، أو "ابتدائى" كائن "بسم الله"... (٢٨٨)

وهذا الكلام مأخوذ من البرهان، يقول الزركشى عند الحديث عن أدلة الحذف: "... فمنها: أن يدل عليه العقل حيث

---

(٢٨٥) سورة يوسف /٣٢.

(٢٨٦) سورة يوسف /٣٠.

(٢٨٧) سورة آل عمران /١٦٧.

(٢٨٨) الاتقان ٣/١٧٤-١٧٦.

تسحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف كقوله تعالى: (وأسْأَل القَرْيَه) (٢٨٩)، فانه يستحيل عقلا تكلم الأمكنة إلا معجزة.

ومنه : أن تدل عليه العادة الشرعية، كقوله تعالي : (إِنَّمَا حَرَّم عَلَيْكُم الميْتَة) (٢٩٠) فإن الذات لا تتصف بالحل والحرمة شرعا ، انما هى من صفات الأفعال الواقعة علي الذوات فعلم أن المحذوف التناول، ولكنه لما حذف وأقيمت الميتة مقامة أسند إليها الفعل وقطع النظر عنه، فلذلك أنث الفعل في بعض الصور، كقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة) (٢٩١)...

ومنها : أن يدل العقل عليهما ، أي على الحذف والتعيين، كقوله تعالي : (وجاء ربك) (٢٩٢) أى أمره أو عذابه أو ملائكته، لأن العقل دل على أصل الحذف، ولاستحالة مجئ البارى عقلا، لأن المجئ من سمات الحدث. ودل العقل أيضا على التعيين، وهو الأمر ونحوه...

ومنها : أن يدل العقل على أصل الحذف، وتدل عادة الناس على تعيين المحذوف كقوله تعالي : (فذلكن الذى لمتننى فيه) (٢٩٣)، فإن يوسف عليه السلام ليس ظرف للومهن فتعين أن يكون غيره، فقد

---

(٢٨٩) سورة يوسف /٨٢.

(٢٩٠) سورة النحل /١١٥.

(٢٩١) سورة المائدة /٣.

(٢٩٢) سورة الفجر/٢٢.

(٢٩٣) سورة يوسف /٣٢.

دل العقل على أصل الحذف، ثم يجوز أن يكون الظرف حبه بدليل : (شعفها حبا) [٢٩٤] أو مراودته بدليل : (تراود فتاها)، لكن العقل لا يعين واحدا منها، بل العادة دلت على أن المحذوف هو الثاني، فان الحب لايلام عليه صاحبه، لأنه يقهره ويغلبه، وإنما اللوم فيما للنفس فيه اختيار، وهو المراودة لقدرته علي دفعها.

ومنها : أن تدل العادة على تعيين المحذوف، لقوله تعالى : (لو نعلم قتالا) [٢٩٥] والعادة تمنع أن يريدوا : لو نعلم حقيقة القتال، فلذلك قدرة مجاهد :"مكان القتال".

ومنها : أن يدل اللفظ على الحذف، والشروع في الفعل علي تعيين المحذوف، كقوله (بسم الله) فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفا، لأن حرف الجر لابد له من متعلق ودل الشروع على تعيينه، وهو الفعل الذى جعلت التسمية في مبدئه، من قراءة أو أكل أو شرب ونحوه، ويقدر في كل موضع ما يليق، ففى القراءة : أقرأ، وفى الأكل : آكل، ونحوه وقد اختلف : هل يقدر الفعل أو الاسم؟ وعلى الأول فهل يقدر عام كالابتداء أو خاص كما ذكرنا؟ [٢٩٦]

اتفق النحويون على أن (بسم الله) بعض جملة، ثم اختلفوا فى تقدير المحذوف فقال البصريون : الجملة اسمية والتقدير : ابتدائي كائن بسم الله.

---

(٢٩٤) سورة يوسف/ ٣٠.

(٢٩٥) سورة آل عمران /١٦٧.

(٢٩٦) البرهان ٣/١٠٨ -١١٠.

وقال الكوفيون : الجملة فعلية ، والتقدير : ابتدئ بسم الله.

وقد تابع الزمخشرى الكوفيين في تقدير الجملة الفعلية، ولكنه خالفهم في موضعين :

أحدهما : أنهم يقدرون الفعل مقدما وهو يقدره مؤخرا.

الثاني: أنهم يقدرونه فعل البدايه، وهو يقدره في كل موضع بحسبه ، فإذا قال الذابح (بسم الله) كان التقدير : بسم الله أذبح، وإذا قال القارئ (بسم الله) فالتقدير : بسم الله أقرأ. (٢٩٧)

قال الزمخشرى : "قان قلت : بم تعلقت الباء؟ قلت بمحذوف تقديره : بسم الله اقرأ أو أتلو، لأن الذى يتلو التسمية مقروءة، كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله، كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل، وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله ببسم الله كان مضمرا مبدأ له..." (٢٩٨)

ورأى الزمخشرى أرجح، لان مراعاة المناسبة أولى من أهمالها.

٤) شخصية الزركشى النحوية فى البرهان أكثر وضوحا من شخصية السيوطى النحوية فى الإتقان، ويتضح ذلك فيما يلي :

يقول الزركشى : "قوله تعالي (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) (٢٩٩) يحتمل حذف الخبر، أى أجمل، أو حذف المبتدأ أى فأمرى صبر جميل، وهذا

---

(٢٩٧) انظر همع الهوامع ١٠٨/٢.

(٢٩٨) الكشاف ٢٦/١.

(٢٩٩) سورة يوسف /١٨

أولى لوجود قرنية حالية- هى قيام الصبريه دالة علي المحذوف، وعدم قرنية حالية أو مقاليه تدل على خصوص الخبر، وأن الكلام مسوق للإخبار بحصول الصبر له واتصافه به، وحذف المبتدأ يحصل ذلك دون حذف الخبر، ولأن الصبر مصدر، والمصادر معناها الإختبار، فإذا حُمل على حذف المبتدأ فقد أجري على أصل معناه؛ من استعماله خبرا، وإذا حمل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه. (٣٠٠)

وقد اكتفى السيوطى بقوله :

"ويحتمل الأمرين- أى حذف المبتدأ والخبر- (فصبر جميل) (٣٠١) أى أجمل أو فأمرى صبر" (٣٠٢)

ويقول الزركشى في حذف الفاعل :

"... وجوز الكسائى حذفه مطلقا إذا وجد ما يدل عليه، كقوله تعالى : (كَلَّا إِذَا بَلَغت التَّرَاقِى) (٣٠٣) أى بلغت الروح. وقوله : (حَتَّى تَوارَتْ بالحِجَاب) (٣٠٤) أى الشمس. (فَإِذَا نَزَل بِسَاحَتِهم) (٣٠٥) يعنى العذاب، لقوله قبله: (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُون) (٣٠٦). (فَلَما جَاء سلَيْمَان) (٣٠٧) تقديره : فلما جاء الرسولَ سليمان.

---

(٣٠٠) البرهان ٣/١٤٢-١٤٣.
(٣٠١) سورة يوسف /١٨
(٣٠٢) الاتقان /١٨
(٣٠٣) سورة القيامة /٢٦.
(٣٠٤) سورة ص /٣٢.
(٣٠٥) سورة الصافات /١٧٧.
(٣٠٦) سورة الصافات/١٧٦.
(٣٠٧) سورة النمل /٣٦.

والحق أنه في المذكورات مضمر لا محذوف. (٣٠٨)

وفى نفس الموضوع يقول السيوطى :"... وجوزه - أي حذف الفاعل - الكسائى مطلقا لدليل، وخرج عليه (إذا بلغت التراقى) أى الروح (حتى توارت بالحجاب) أى الشمس. (٣٠٩)

وخلاصة القول فى هذه المسألة :

أن بعض النحويين المتأخرين نقل عن الكسائى أنه أجاز حذف الفاعل وذلك في باب الفاعل. **يقول ابن هشام :**

"وعن الكسائى إجازة حذف الفاعل، وتابعة علي ذلك السهيلى وابن مضاء" (٣١٠)

قال أبو الحسن الأشمونى :

"الثانى - أي من التنبيهين - كونه - أى الفاعل - عمده لا يجوز حذفه، لأن الفعل وفاعله كجزئ كلمة لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وأجاز الكسائي حذفه تمسكا بنحو قوله :

فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِى إِلي قَطَرِيٍّ لَا أَخَالُكَ رَاضِيا (٣١١)

---

(٣٠٨) البرهان ١٤٤/٣.

(٣٠٩) الاتقان ١٨٦/٣.

(٣١٠) شذود الذهب ١٦٦.

(٣١١) البيت من الطويل " قاله سوار بن المضرب السعدى وقد ورد في الكامل للمبرد ٨٦/٢، والخزانه ١٧٦/٣، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٦٠٠/٢.

قطرى : هو قطرى بن الفجاءة منسوب الى موضع يقال له (قطرى)

وأوله الجمهور على أن التقدير "فان كان هو" أي ما نحو عليه من السلامة (٣١٢)

كما نسبوا الى الكسائي - أيضا - وجوب حذف الفاعل في باب التنازع.

قال الأشموني : (ما التزما) من مطابقة الضمير للظاهر ومن امتناع حذف هذا المضير حيث كان عمدة. وسواء في ذلك كان الأول هو المهمل (كيسحنان ويسئ ابناكا)... منعهة الكوفيون، لأنهم يمنعوه الإضمار قبل الذكر في هذا الباب، فذهب الكسائي ومن وافقه إلى وجوب حذف الضمير من الأول والحالة هذه للدلالة عليه..." (٣١٣)

وقال ابن يعيش : "... فتقول على مذهب سيبويه "قاما وقعد أخواك" فتثنى الفعل الأول لأنه فيه ضميرا، وتقول: "قام وقعد أخواك" على مذهب الكسائي فتوحد الفعلين جميعا، الأول لأن فاعله محذوف، والثاني لأنه عمل في الظاهر بعده..." (٣١٤)

وفي النفس شئ مما نُسِبَ إلى الكسائي، فهو زعيم الكوفيين ومؤسس مدرستهم ولو كان هذا رأيه لا تبعه منهم عدد غير قليل بينما لم يتبعه منهم إلا هشام الضرير، كما لم يتبعه من الأندلسيين إلا السهيلي وابن مضاء.

جاء في شرح التصريح - في باب التنازع-

"والكسائي وهشام الضرير والسهيلي من الكوفيين يوجبون الحذف للضمير المرفوع على الفاعلية، هربا من الاضمار قبل الذكر".

---

(٣١٢) الاشموني ٢/٤٤-٤٥.

(٣١٣) شرح الاشموني مع حاشية الصبان ٢/١٠٢

(٣١٤) شرح المفصل ٦/٧٩.

وفى حاشية يسن:"... وعبارة بعضهم : الكسائي وهشام الضرير من الكوفيين والسهيلى وابن مضاء من المغاربة..."(٣١٥)

وقد أبطل هذه النسبة أبو حيان فى الارتشاف حيث قال :

"والمذهب الثانى - مذهب الكسائى في مشهور ما نقل عنه، وهشام، وتابعهما من أصحابنا أبو زيد السهيلى، وأبو جعفر بن مضاء صاحب كتاب المشرق في النحو أن الفاعل محذوف ولا يضمر، وقد نقل عن الكسائى أنه مضمر مستتر في الفعل مفرد في الأحوال كلها، وأن ما نقله البصريون عن الكسائي أنه يحذف الفاعل لا يصح..."(٣١٦)

كما أعد الأستاذ الشيخ عطيه الصوالحى مبحثا قدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان (إظهار الحق فيما نسب إلى الكسائي من إجازته حذف الفاعل) قال فى آخره بعد أن ذكر أقوال العلماء "وبعد فأقوال أولئك الأعلام أنصفت الكسائي وبرأته من تهمة حذف الفاعل التى الصقها به البصريون، وظلت قرونا طويلة ينقلها سلفهم عن خلفهم وهى اليوم مسجلة في كتب النحاة المعاصرين وأرجوا أن تطهر منها"(٣١٧) جزا الله الشيخ خيرا.

---

(٣١٥) شرح التصريح على التوضيح ١/٢٧٢.

(٣١٦) الارتشاف ٣، ٩٠-٩١.

(٣١٧) كتاب الألفاظ والأساليب ص ١١٦.

ويقول الزركشي - أيضا - في الواو العامله -

"والواو التي ينتصب المضارع بعدها في موضعين وفي الأجوبة الثمانية، وأن يعطف بها الفعل على المصدر، على قول كوفي.

والصحيح أن الواو فيه عاطفة والفعل منصوب بأن مضمرة..." (٣١٨) وفي هذا يقول السيوطي :"... والمضارع في جواب النفي أو الطلب عند الكوفيين، نحو : (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (٣١٩)، (يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ). (٣٢٠)

وخلاصة القول في هذه المسألة :

أن النحويين اختلفوا في ناصب المضارع بعد هذه الواو (٣٢١) فالبصريون يرون أنه منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الواو، وإنما وجب إضمارها ولم يجز إظهارها لأمرين :

الأول : أنها لما اقتضت نصب ما بعدها للتنصيص على معنى المعية والجمع صارت كعامل النصب، فلم يظهر الناصب بعدها. (٣٢٢)

---

(٣١٨) البرهان ٤/٤٣٥.

(٣١٩) سورة آل عمران/١٤٢.

(٣٢٠) سورة الأنعام /٢٧. وانظر الاتقان ٢/٢٥٥.

(٣٢١) ينظر في هذا: شرح الاشموني مع حاشية الصبان ٣/٢٥٨ وما بعدها، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٥٥ مسأله (٧٥).

(٣٢٢) انظر شرح الكافية ٢/٢٥٠.

الثاني : مراعاة المشاكلة في ظاهر اللفظ بين المعطوف والمعطوف عليه، لأن الواو للعطف وإن كانت في المعنى للجمع، فلما كان ما قبلها فعلا لم يجز إظهار (أن) بعدها، ليكون ظاهر اللفظ عطف فعل على فعل.

ودليلهم :

أن الأصل في (الواو) أن تكون حرف عطف، وحرف العطف غير مختص، لأنه يدخل على الاسماء والأفعال، فلا يصح أن يعمل النصب في المضارع، لأن شرط العمل الاختصاص، فلما لم يصح أن تكون (الواو) ناصبة للمضارع بعدها تعين أن يكون منصوبا بأن مضمرة وجوبا، وإنما أضمرت (أن) دون غيرها، لأنها أم نواصب المضارع.

والكوفيون يرون أنه منصوب بالمخالفة، ويسمون هذه الواو واو الصرف، لأنها تصرف في المعنى الفعل الثاني عن حكم الفعل الأول.

والظاهر من مذهبهم أنهم جعلوا الخلاف عاملا معنويا ناصبا كما أن الابتداء عامل معنوي رافع للمبتدأ عند أكثر النحاة.

ورد عليهم بأنه لو أوجب الخلاف الانتصاب لم يجز العطف في نحو : ما مررت بزيد لكن عمرو وجاءني زيد لا عمرو، لأن المعطوف مخالف للمعطوف عليه في المعنى فكان الواجب نصبه، وهو ظاهر البطلان. (٣٢٣)

وذهب أبو عمرو الجرمي إلى أن المضارع منصوب بالواو نفسها، لأنها خرجت عن باب العطف فعملت النصب.

---

(٣٢٣) الفعل المضارع في ضوء القرآن ص ٢٠٧.

ورد عليه بأنه لو كانت الواو هي العاملة لجاز أن تدخل عليها الفاء وفي امتناعه من ذلك دليل على بطلان ما ذهب اليه. (٣٢٤)

وللحق أقول : لعل السيوطى لم يفرض شخصيته النحوية في هذا الكتاب اعتمادا على ماله من موسوعات نحوية متخصصة.

٥) رجح السيوطى رأى الكوفيين على رأى البصريين في بعض المسائل عكس ما فعل الزركشى : من ذلك :

يقول السيوطى :" اختلف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار، فجمهور البصريين على المنع، وبعضهم والكوفيين على الجواز، وخرج عليه قراءة حمزه (٣٢٥) (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامِ) (٣٢٦).

وقال أبو حيان في قوله تعالى :(وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ) (٣٢٧) أن المسجد معطوف على ضمير (به) وإن لم يعد الجار. قال : والذى نختاره جواز ذلك لو ورده في كلام العرب كثيرا نظما ونثرا، قال : ولسنا متعبدين باتباع جمهور البصريين بل نتبع الدليل". (٣٢٨)

وقد ذكر الزركشى في هذه المسألة رأى البصريين ثم رأى الكوفيين ورد على أدلتهم فقال:"... وإن كان أى الضمير - فلا

---

(٣٢٤) الانصاف ٥٥٧/٢. وما بعدها.

(٣٢٥) انظر الانحاف ص ١٨٥، وتفسيرالقرطبى ٢/٥.

(٣٢٦) سورة النساء الاية /١.

(٣٢٧) سورة البقرة /٢١٧.

(٣٢٨) الاتقان ٣٢٣/٢.

يجوز - أي العطف- من غير تكرار الجار فيه نحو :"مررت به ويزيد:". كقوله تعالي :(وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) (٣٢٩)، قوله (فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ) (٣٣٠)، قوله : (جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (٣٣١)... وقال الكوفيون لا تلزم الإعادة محتجين بآيات الأولي : قراءة (حمزة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ) (٣٣٢) بالجر عطفا علي الضمير في "به" فليس الخفض على العطف، وإنما هو على القسم، وجوابه : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٣٣٣) الثانية : قوله تعالى :(فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُم لَهُ بِرَازِقِينَ) (٣٣٤) و (مَنْ لَسْتُمْ) أولها المانعون ... بتقدير "ويرزق من لستم" أو أغنى من لستم".

قال أبو البقاء : لأن المعنى : أغناكم وأغني من لستم.

الثالثة : قوله تعالي : (وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (٣٣٥) وليس من هذا الباب، لأن (المسجد) معطوف على (سبيل الله) في قوله (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

---

(٣٢٩) سورة البقرة /٢١٧.

(٣٣٠) الاتقان ٢/٣٢٣.

(٣٣١) سورة المؤمنون /٢٢.

(٣٣٢) سورة فصلت /١١.

(٣٣٣) سورة الاسراء /٤٥.

(٣٣٤) سورة الحجر /٢٠

(٣٣٥) من قوله تعالي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه)

ويدل لذلك أنه صرح بنسبة الصد إلى المسجد في قوله (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (٣٣٦)... ولا يحسن أن يقال أنه معطوف على الشهر (٣٣٧)، لأنهم لم يسألوا عنه، ولا علي سبيل، لأنه إذ ذاك من تتمة المصدر، ولا يطف على المصدر قبل تمامه.

الرابعة : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِي حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ) (٣٣٨)

قالوا :(الواو) عاطفة لـ (من) على الكاف المجرورة ، والتقدير: حسبك من اتبعك".

ورد بأن الواو للمصاحبة "ومَنْ" في محل نصب عطفا على الموضع، كقوله :"فَحَسْبُكَ والضحّاك سيف مُهَنَّدُ (٣٣٩) ...." (٣٤٠)

وقد احتج البصريون على مذهبهم بما يلي :

١- ان الجار مع المجرور بمنزلة الشئ الواحد، فإذا عطف على الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجرورا اتصل بالجار ولم ينفصل منه، ولهذا لا يكون إلا متصلا، بخلاف الضمير المرفوع والمنصوب - فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز.

---

(٣٣٦) سورة المائدة /٢.

(٣٣٧) من قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه)

(٣٣٨) سورة الانفال /٦٤.

(٣٣٩) صدرة : إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا

وتنظر المسألة في الانصاف ٢، ٤٦٣ وما بعدها وشرح الكافية الشافيه ١٢٤٦/٣ ومابعدها، وشواهد التوضيح والتصحيح ص٥٣.

(٣٤٠) البرهان ١١٥/٤-١١٦.

٢- إن الضمير قد صار عوضا عن التنوين، فينبغي أن لا يجوز العطف عليه، كما لا يجوز العطف على التنوين، والدليل على استوائهما أنهم يقولون " يا غلام" فيحذفون (الياء) كما يحذفون التنوين، وانما اشتبها لأنهما على حرف واحد، وأنهما يكملان الاسم، وأنهما لا يفصل بينهما وبينه بالظروف، وليس كذلك الاسم المظهر.

٣- لا يجوز اتفاقا عطف المضمر المجرور على المظهر المجرور، فلا يجوز أن يقال "مررت بزيد وك" فكذلك ينبغي أن لا يجوز عطف المظهر المجرور على المضمر المجرور فلا يقال :"مررت بك وزيد" لأن الأسماء مشتركة في العطف، فكما لا يجوز أن يكون معطوفا فلا يجوز أن يكون معطوفا عليه. (٣٤١)

قال سيبويه :

"ومما يقبح أن يشركه المظهَرُ علامةُ المضمرَ المجرور، وذلك قولك:"مررتُ بك وزيدٍ" و "هذا أبوك وعمرو" كرهوا أن يشرك المظهَرُ مضمراً داخلا فيما قبله لأنّ هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يُتكلَّم بها إلا معتمدة على ما قبلها، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين، فصارت عندهم بمنزلة التنوين، فلما ضَعُفَتْ عندهم كرهوا أن يُتْبِعوها الاسم، ولم يجز أيضا - أن يُتْبِعوها إياه وإن وصفوا، ولا يحسن لك أن تقول : مررتُ بِكِ أنت وزيدٍ كما جاز فيما أضمرت في الفعل، نحو :"قمتَ أنتَ وزيدٌ" لأن ذلك وإن كان قد أنزل منزلة آخر الفعل فليس من الفعل ولا من تمامه، وهما حرفان يستغني كل واحد منهما بصاحبه كالمبتدأ والمبنى عليه...

---

(٣٤١) الانصاف ٤٦٦/٢ وهمع الهوامع ١٣٩/٢.

وقد يجوز في الشعر أن تشرك بين الظاهر والمضمر على المرفوع والمجرور إذا اضطر الشاعر وجاز "قمتَ أنتَ وزيدٌ" ولم يجز :"مررتُ بك أنتَ وزيدٍ" لأن الفعل يستغنى بالفاعل والمضاف لا يستغنى بالمضاف إليه، لأنه بمنزلة التنوين...؛ (٣٤٢).

واستدل الكوفيون بالإضافة إلى ما سبق ، بقول الشاعر:

تُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنا وَمَا بَيْنَهَا والْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ (٣٤٣)

فـ (الكعب) مخفوض بالعطف على الضمير المخفوض فى (بينها)، والتقدير : ما بينها وبين الكعب غوط نفانف.

وقول العباس بن مرداس :

أُكَرُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَحَتْفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا (٣٤٤)

---

(٣٤٢) الكتاب ٢/٣٨١-٣٨٢

(٣٤٣) البيت من الطويل، ينسب لمسكين الدرامى.
و"السوارى" جمع سارية وهى الاسطوانة، و(الغوط) جمع غائط وهو المطمئن من الارض، "نفانف" جمع نفنف وهو الهواء بين الساريتين، يريد أنهم طوال القامات. ورد البيت فى عمدة الحافظ لابن مالك ص ١٢٠، وفى شرح التسهيل ٢/١٩٨، والخزانه ٤/١٦٤.

(٣٤٤) البيت من الوافر (الديوان ص ١١٠) ورد فى الإنصاف ٢/٤٦٤ وشرح الكافية الشافية ٣/١١٥٢.

وقال الآخر :

﴿لَوْ كَانَ لِيَ وزُهَيرٍ ثَالِثٌ وَرَدَتْ مِن الحَمَامِ عِدَانَا شَرَّ مَوْرُودُ (٣٤٥)

فعطف (زهير) على الضمير المجرور في (لى)

وقد رجح ابن مالك مذهب الكوفيين فقال :

"ولأجل القراءة المذكورة والشواهد، لم أمنع العطف على ضمير الجر، بل نبهت على أن عود حرف الجر مع المعطوف مفضل على عدم عوده. (٣٤٦)

وقال فى شواهد التوضيح"... فقد تبين بالدلائل التى أوردتها صحة العطف علي ضمير الجر دون إعادة العامل". (٣٤٧)

تصحيح :

نسب ابن مالك وأبو حيان والسيوطى إلى الأخفش أنه أجاز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر - كما يري الكوفيون-

---

(٣٤٥) البيت من البسيط.

لم يعرف قائله، ورد فى :

شرح الكافية الشافية ١٢٥٣/٣.

وشرح التسهيل ١٩٩/٢.

وشواهد التوضيح /٥٦

(٣٤٦) شرح الكافية الشافية ١٢٥٤/٣.

(٣٤٧) شواهد التوضيح ص ٥٧.

قال ابن مالك في أثناء حديثة عن قول سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم : "إِنَّمَا مَثَلكم واليَهُودِ والنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَل عُمَّالاً..."

قلت : تضمن هذا الحديث العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين، إلا يونس وقطرب والأخفش.

والجواز أصح من المنع، لضعف احتجاج المانعين، وصحة استعمال نظما ونثر.." (٣٤٨) وقال أبو حيان :"... ولا يشترط إعادة الخافض وهو مذهب الكوفيين ويونس والأخفش". (٣٤٩)

وقال السيوطى :

"... وهذا رأي الكوفيين ويونس والأخفش..." (٣٥٠)

وما جاء في معانى القرآن الكريم للأخفش يدل على أنه لم يقل بهذا صراحة، وأنه يرى ما يراه البصريون يقول :

قال الله تعالى : (والأرحام) (٣٥١) منصوبة، أي اتقو الأرحام.

وقال بعضهم :(والأرحام) جر، والأول أحسن، لأنك لا تجرى الظاهر المجرور على المضمر المجرور. (٣٥٢).

---

(٣٤٨) شواهد التوضيح ص ٥٣.

(٣٤٩) الارتشاف ٦٥٨/٢.

(٣٥٠) الهمع ١٣٩/٢.

(٣٥١) سورة النساء من الآية /١.

(٣٥٢) معانى القرآن ٢٢٤/١.

٦) زاد السيوطي اشياء لم ترد في البرهان عنها :

أ) تقدير المحذوف : يقول السيوطي "... حذف المعطوف مع العاطف، (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَلَ) [٣٥٣]، أي ومن أنفق بعده (بِيَدِكَ الخَيْرُ) [٣٥٤] أي والشر. [٣٥٥]

وقال أيضا :"... حذف المبدل منه، خرج عليه (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ) [٣٥٦] أي لما تصفة ، والكذب بدل من الهاء. [٣٥٧]

وقد اكتفى الزركشي بقوله :

"وقد يحذف المعطوف مع حرف العطف مثل : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)..." [٣٥٨]

وقال "حذف المبدل منه، اختلفوا فيه، وخرج عليه قوله : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام)..." [٣٥٩]

ب) في "بلى"

يقول السيوطي :"حرف أصلي الألف، وقيل : الأصل "بل" والألف زائدة وقيل : هي للتأنيث بدليل إمالتها.

---

(٣٥٣) الحديد /١٠.

(٣٥٤) آل عمران /٢٦.

(٣٥٥) الإتقان ١٨٦/٣.

(٣٥٦) النحل /١١٦.

(٣٥٧) الاتقان ١٨٦/٣.

(٣٥٨) البرهان ١٥٧/٣.

(٣٥٩) البرهان ١٥٨/٣.

ولها موضعان :

أحدهما : أن تكون ردا لنفي يقع قبلها، نحو (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى) (٣٦٠) أى عملتم السوء ...

الثانى : أن تقع جوابا لاستفهام دخل على نفى فتفيد إبطاله، سواء كان الاستفهام حقيقيا نحو : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى ..." (٣٦١)

وقد بدأ الزركشى حديثه عن (بلى) بقوله :

"لها موضعان :

أحدهما : أن تكون ردا لنفى يقع قبلها ...

والثانى: أن تقع جوابا لاستفهام ، دخل علي نفى حقيقة ..." (٣٦٢) ولم يتعرض لأصلها وآختلاف العلماء فيها كما جاء في الاتقان.

ج) (اللهم) لم يذكرها الزركشى ، وذكرها السيوطى فقال :

"اللهم" المشهور أن معناها : يا الله، حذفت ياء النداء، وعوض عنها الميم المشددة فى آخره.

وقيل : أصله يا ألله أمنا بخير، فركب تركيب حيهلا..." (٣٦٣)

= اختلف النحويون في (الميم) المشددة في (اللهم) أهى عوض عن حرف النداء (يا) أم لا ؟ فالبصريون يرون أن (الميم) المشددة عوض عن حرف النداء و(الهاء) مبنية على الضم لأنه نداء.

---

(٣٦٠) سورة النحل : ٢٨.

(٣٦١) الاتقان ١٨٦/٢-١٨٧.

(٣٦٢) البرهان ٢٦١/٤ وما بعدها.

(٣٦٣) الاتقان ١٦٣/٢.

قال سيبويه "... وقال الخليل - رحمه الله - (اللهم) نداء والميم ها هنا بدل من (يا) فهى ها هنا فيما زعم الخليل - رحمه الله - آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أولها، إلا أن (الميم) ها هنا فى الكلمة كما أن نون المسلمين فى الكلمة بنيت عليها. (فاليم) فى هذا الاسم حرفان أولهما مجزوم، و(الهاء) مرتفعة لأنه وقع عليها الاعراب" (٣٦٤)

وقال المبرد :"... إنما الميم المشددة فى آخره - أى في آخر اللهم - عوض عن (يا) التى للتنبيه. و(الهاء) مضمومة لأنه نداء" (٣٦٥).

وذهب الكوفيون إلي أن الميم المشددة في (اللهم) ليست عوضا من (يا) التي للتنبيه فى النداء.

وقالوا : إن أصل (يااللهم) يا ألله أُمَّنا بخير، إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلبا للخفة. (٣٦٦).

قال الفراء:

(اللهم) كلمة تنصبها العرب، وقد قال بعض النحويين: إنما نصبت إذ زيدت فيها الميمان لأنها لا تنادى بـ (يا) كما تقول : يا زيد، ويا عبد الله، فجعلت الميم فيها خلفا من يا.

وأنشدني بعضهم :

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا صَلَّيْتِ أَوْ سَبَّحْتِ يَاللَّهُمَّ ما

---

(٣٦٤) الكتاب ١٩٦/٢

(٣٦٥) المقتضب ٢٣٩/٤.

(٣٦٦) ينظر الإنصاف مسأله ٤٧ وشرح الكافيه ١٤٥/١.

أُرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا (٣٦٧)

ولم نجد العرب زادت مثل هذه (الميم) في نواقص الاسماء إلا مخففة مثل : القم ، اَبْنَمَ ونرى أنها كانت كلمة ضُم إليها (أم) تريد: يا أللهُ أُمَّنا بخر ، فكثرت في الكلام فاختلطت ، فالرفعة التي في (الهاء) من همزة (أم) لما تركت انتقلت إلي ما قبلها.

ونرى أن قول العرب : (هَلُمَّ إلَيْنَا) مثلها؛ إنما كانت (هل) فضم إليها (أم) فتركت علي نصبها، ومن العرب من يقول إذا طرح (الميم) : يا أللهُ اغفر لى فيهزون ألفها ويحذفونها..." (٣٦٨)

وقد اختار ابن مالك مذهب البصريين ، فقال :

والاكثرُ اللَّهم بالتعْويضِ وشَذَّ يا اللهُمَّ في قَريضِ

وبعد:

فهذه دراسة نحوية في ضوء كتابين لهما في مجالهما مكانة عالية أردت من خلال أن أقف على جوانب التأثر والتأثير التى هى أساس العلم.

---

(٣٦٧) ثلاثة أبيات من الرجز المشطور ، أنشدهم ابن منظور فى اللسان مادة (أل ٥) وقد ورد فى الانصاف ٣٤٢/١، وفى شرح الرضى للكافية ١٤٦/١

وشرحهم البغدادى فى الخزانه ٢٩٦/٢- الخانجى

ومحل الاستشهاد = قوله (يااللهم ما) حيث جمع بين حرف النداء والميم المشدده ولم يكتف بذلك بل زاد (ميما) مفردة بعد (الميم) المشددة.

(٣٦٨) معاني القرآن ٢٠٣/١-٢٠٤.

ومع أن السيوطى قد تأثر بالزركشى إلا أن له شخصيته وتصرفه فلم يكن مجرد ناقل.

وأحسبنى بهذا قدمت دليلا جديدا يضاف إلى الأدلة التي رُدَّ بها على السَّخاوى الذي ادعي أن السيوطى سارق مؤلفاته. (٣٦٩)

ورحم الله الجميع وما توفيقى إلا بالله

---

(٣٦٩) انظر الداء الكاوى فى الرد على الشخاوى.

مراجع البحث

١- **الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى**
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة التراث ١٤٠٥-١٩٨٥م.

٢- **إرتشاف الضرب من لسان العرب**
لأبى حيان - تحقيق الدكتور/ مصطفى النحاس - الطبعة الأولى ١٤٠٤-١٩٨٤م

٣- **الإرشاد في النحو للعلامة سعد الدين التفتازانى**
تحقيق الدكتور/ مبروك عطيه - الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩٠م

٤- **الألفاظ والأساليب** - مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٧٧م.

٥- **الإنصاف في مسائل الخلاف للانبارى**
تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد ١٩٨٢م

٦- **البحر المحيط لأبى حيان** - طبعة دار الفكر - بيروت.

٧- **البرهان فى علوم القرآن للزركشى**
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحلبى ١٩٥٧م.

٨- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك**
تحقيق محمد كامل بركات - مطبعة القاهرة.

٩- **الجامع لأحكام القرآن للقرطبى**
طبعة دار الكتب المصرية.

١٠- حسن المحاضرة للسيوطى-طبعة الحلبى.

١١- **الدرر الكامنة في أعيان المائه الثامنة.**
لابن حجر - حيدر أباد سنه ١٣٥٠.

١٢- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى.
القدس سنة ١٣٥١.
١٣- شذور الذهب فى معرفة كلام العرب.
لابن هشام تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد - دار الفكر.
١٤- شرح الألفية للأشمونى - الحلبى ١٣٦٦هـ.
١٥- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد - الحلبى.
١٦- شرح الجُمل لابن عصفور
تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مطبعة إحياء التراث الإسلامى.
١٧- شرح الكافية للرضى.
ط- دار الكتب العامه - بيروت.
١٨- شرح الكافية الشافية لابن مالك.
تحقيق الدكتور/ عبد المنعم هريدى - دار المأمون للتراث.
١٩- شرح المفصل لابن يعيش - مكتبة المتنبى القاهرة.
٢٠- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك
تحقيق فؤاد عبد الباقى - دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للعينى
ط - الحلبى ١٣٩٢-١٩٧٢
٢٢- الفعل المضارع فى ضوء أساليب القرآن
دكتور / عبد الله الحسينى هلال سنة ١٤٠٤-١٩٨٤.
٢٣- الكتاب لسيبوية
تحقيق / عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة.

٢٤- الكشاف للزمخشرى
دار المعرفة - بيروت.
٢٥- لسان العرب لابن منظور
بولاق سنة ١٣٠٠.
٢٦- المحتسب لابن جنى
تحقيق على النجدى ناصف وغيره - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٨٩.
٢٧- مفردات الراغب الأصبهانى
المطبعة اليمنيه سنة ١٣٢٤.
٢٨- المفصل للزمخشرى
مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ .
٢٩- المقتضب للمبرد
تحقيق محمدعبد الخالق عضيمه - القاهرة ١٣٩٩.
٣٠- معانى القرآن للفراء
تحقيق محمد على النجار وغيره - الهيئة المصرية العامه للكتاب سنة ١٩٨١.
٣١- معانى القرآن وإعرابه للزجاج
تحقيق الدكتور/ عبد الجليل شلبى - المكتبة العصرية - بيروت.
٣٢- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام
تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة صبيح.
٣٣- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى
الطبعة الأولى ١٣٢٧م.